لغز البيضة المجوفة



محمود سالم

لغز البيضة المجوفة

تأليف
محمود سالم



لغز البيضة المجوفة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٨ ٢٥٠٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

جاء إلى هنا ... خرج من هنا؟! ٧
المغامرة الوحيدة ١٣
عودة الولد المُتشرِّد ١٧
كوكا كولا بعد منتصف الليل ٢٣
المتهم البريء ٢٩
ما هو «س/س»؟ ٣٥
مزيد من المعلومات ٤١
شيء ما ... غامض ٤٧

جاء إلى هنا ... خرج من هنا؟!

كانت ليلة صيفية جميلة في المعادي ... وقد هبَّت نسمة باردة حملت معها عبير الورود والأزهار في حديقة منزل «عاطف»، وكانت «لوزة» و«عاطف» يجلسان وحدهما ... فلم تكن هناك مواعيد بين المغامرين الخمسة في تلك الليلة. وقالت «لوزة»: تعال نتمشى قليلًا على الكورنيش ... لقد تضايقت من هذه الجلسة الطويلة!

عاطف: لقد تجوَّلنا بالدرَّاجات كثيرًا هذا الصباح ... ولست ...

وقبل أن يتمَّ جملته سمعا صوت سيارة تقف بباب الحديقة، والتفتا معًا وهما يسمعان باب السيارة يُفْتَح ويَنْزِل منه المفتش «سامي» بقامته الفارهة ... وقفزت «لوزة» صائحة: إنه المفتش «سامي»!

وانطلقت تقطع طرقات الحديقة جَرْيًا واستقبلت المفتش استقبالًا حماسيًّا قائلة: إننا لم نرك منذ فترة طويلة!

قال المفتش مُبتسمًا في تعب: آسف جدًّا ... إنني مشغول هذه الأيام!

لوزة: هل جئتَ تزورنا ... أو أن هناك قضية في المعادي؟

ردَّ المفتش وهو يمدُّ يده إلى «عاطف»: الاثنان معًا!

صفقت «لوزة» وهي تقول: إذن سنجد شيئًا نفعله!

قال المفتش وهو يجلس وكأنه يتجاهل ما قالته «لوزة»: هل عصير الليمون المُثَلَّج جاهز كالعادة؟

ردت «لوزة»: طبعًا ... إن أبي يفضله على كل شيء آخر!

المفتش: معه حق ... فليس هناك شراب أفضل منه في الصيف!

أسرعت «لوزة» إلى الفيلا لإحضار الشراب المُثَلَّج، في حين قال المفتش مُحَدِّثًا «عاطف»: أين إذن بقية المغامرين؟

رد «عاطف»: لقد كنا معًا هذا الصباح وتجولنا بالدراجات في شوارع المعادي الجديدة!

بدا اهتمام مفاجئ على وجه المفتش وقال: المعادي الجديدة؟

عاطف: نعم ... هل ثمة شيء هناك؟

عاد المفتش إلى لهجته المُتْعَبَة وقال محاولًا التهرُّب من السؤال: هل وجدتم أنتم شيئًا هناك؟

رد «عاطف»: لا ... ليس أكثر من المباني الجديدة!

ساد الصمت بين الاثنين لحظات كان «عاطف» خلالها يفكر في لهجة المفتش وهو يتحدث عن المعادي الجديدة ... لقد كان واضحًا أن هناك شيئًا يشغله في هذا المكان المتطرف من المعادي ... ولكن ما هو هذا الشيء؟

عادت «لوزة» ومعها كوب الشراب في يدٍ وفي اليد الأخرى جهاز التليفون وهي تقول: مكالمة لك يا سيادة المفتش!

بدا المفتش مُتلهفًا على المكالمة، حتى إنه وقف وتناول التليفون، وأخذ يستمع لحظات، ثم قال: سأحضر فورًا!

وقام المفتش واقفًا، وتناول كوب الليمون المُثَلَّج من «لوزة» فتجرَّعه بسرعة ثم قال: شكرًا ... إنه سيرد لي بعض قواي!

لوزة: ألن تبقى حتى يحضر بقية المغامرين؟

قال المفتش وهو يُسرع بمغادرة الحديقة إلى سيارته: ليس الآن ... ربما في يومٍ آخر.

وحيَّا «عاطف» بإشارة من يده، ثم سمع الاثنان صوت مُحَرِّك السيارة يدور ... وبعد لحظات كانا يجلسان وحدهما مرةً أخرى وقال «عاطف» مبتسمًا: هل كان المفتش حقًّا هنا، أو أنني أحلم؟

لوزة: بالطبع كان هنا!

عاطف: لماذا جاء هنا؟ ولماذا ترك هنا؟

لوزة: ألستَ مغامرًا؟! حاول أن تخرج بشيءٍ من هذه الزيارة السريعة!

بدت سمات الجد على وجه «عاطف» وقال: إن المفتش يُعالج قضية عويصة في المعادي الجديدة!

لوزة: المعادي الجديدة؟

عاطف: نعم.

لوزة: وكيف عرفت؟

عاطف: ألم تقولي إنني مغامر، وإنني يجب أن أخرج باستنتاج عن سبب زيارة المفتش السريعة!

لوزة: وما هي هذه القضية؟

عاطف: ليست قضية سرقة عادية ... إنها شيء أكبر، فالمفتش لا يتحرك من مكانه ويأتي إلى المعادي ... ولا يبدو مهمومًا ومُرْهَقًا بهذا الشكل إلا إذا كان يُحَقِّق قضية كبيرة ... وإلا تركها لأحد معاونيه!

لوزة: أو للشاويش «علي»!

ساد الصمت ... وأخذت «لوزة» تفكر كيف استطاع «عاطف» أن يُحدد مكان القضية التي يحققها المفتش ... وعرفت على الفور أن ثمة حديثًا دار بين المفتش و«عاطف» في أثناء ذهابها لإحضار شراب الليمون، فقالت: هل قال لك المفتش إنه يحقق قضية في المعادي الجديدة؟

عاطف: أبدًا!

لوزة: إذن كيف عرفت؟

عاطف: لقد أجبتُ عن هذا السؤال من قبل!

لوزة: دعك من اللفِّ والدوران يا «عاطف» ... وقل لي كيف عرفت؟

عاطف: لن أقول لك ... ومن الأفضل أن نُجَمِّع بقية المغامرين ونتحدث معًا!

لم تكد «لوزة» تسمع هذا الكلام، حتى مدَّت يدَها على التليفون، واتصلت بكلٍّ من «نوسة» و«محب» ثم «تختخ» ... وكانت تتحدَّث إليهم بحماسة كعادتها قائلة: هناك قضية هامة ... نعم ... المفتش كان هنا ... إنه يبدو مشغولًا جدًّا ومن المؤكد أن هناك قضية هامة تشغله ... ولا بد أن نشترك فيها ... سنجتمع الآن كاقتراح «عاطف».

ووضعت السماعة وقد احمرَّ وجهها وبدا عليها الانفعال، وعندما أدارت وجهها إلى «عاطف»، وجدته غارقًا في الضحك، فتضايقت وقالت: لماذا تضحك؟

عاطف: لقد قلبت الدنيا رأسًا على عقب دون أن يكون هناك أي شيء ... أين هي القضية التي تتحدثين عنها؟

صاحت «لوزة»: ألم تقل أنت إن هناك قضية غامضة ... وإن المفتش يحققها، وإنها في المعادي الجديدة؟

عاطف: لقد طلبتِ منِّي كمغامر أن أقدم بعض الاستنتاجات عن سبب زيارة المفتش المفاجئة ... فقلت ما استنتجت، ولكن ليس معنى هذا أن ما قلته صحيح ولا معناه أننا وجدْنا مغامرة نشترك فيها.

قامت «لوزة» غاضبةً وهاجمت «عاطف» بيدَيها وأخذت تضربه ضرباتٍ سريعة مُتوالية على كتفه وهو مُستغرق في الضحك ... ثم وقفت بعيدًا عنه وهي تضع يدَيها في وسطها وتصيح: إنك تُريد أن تجعلني موضع سخرية الأصدقاء ... إنك دبَّرت مقلبًا شريرًا!

استمر «عاطف» يضحك ... حتى سمع الاثنان صوت أجراس الدراجات وعرفا أن بقية المغامرين قد وصلوا.

كان أول الداخلين «نوسة» ... فأسرعت إليها «لوزة» قائلة: آسفة جدًّا يا «نوسة» يبدو أنني تسرعتُ فقد وقعتُ ضحية مقلب دبره «عاطف»!

نوسة: ماذا حدث؟

لوزة: لقد استدعيتُكم بناء على اقتراح من «عاطف» ... بأن هناك قضية هامة ... وهو الآن يُنكر ما قال.

قال «عاطف» ضاحكًا: إنني لم أُنكر شيئًا!

ودخل «تختخ» و«محب» ووقفا يستمعان إلى النقاش الدائر، قالت «نوسة»: ألم يحضر المفتش إلى هنا؟

لوزة: حضر طبعًا ... ولم يكد يجلس حتى اتصلوا به تليفونيًّا فخرج على الفور!

نوسة: ألم يتحدَّث إليكما في شيء؟

لوزة: لا!

نوسة: إذن ما هي حكاية هذه القضية الغامضة؟

أشارت «لوزة» إلى «عاطف» وقالت: اسأليه!

اختار «تختخ» كرسيًّا مريحًا وجلس ثم وضع ساقًا على ساق وأخذ يرقُب المشهد وهو يبتسِم ... في حين اشترك «محب» في الحوار ... وبعد مناقشة استمرَّت عشر دقائق قال «عاطف»: إن «لوزة» ... قالت الحقيقة ... فقط لقد أردتُ أن أعاكسها!

ثم التفت إلى «تختخ» وقال: ألا تنضم إلينا لأقول لكم كل ما حدث؟

قال «تختخ» لقد عرفتُ كل ما حدث!

عاطف: دعك من أسلوب الدعابة ... فأنت لم تكن هنا حتى تعرف ماذا حدث!

تختخ: ببساطة المفتش «سامي» جاء إلى هنا ... كان مُتْعَبًا، طلب كوبًا من الليمون ذهبت «لوزة» لإحضاره ... في هذه الأثناء كنت تتحدث معه، وقلت له إننا كنا في المعادي الجديدة هذا الصباح، فبدا عليه الاهتمام واستنتجتَ أنت من هذا الاهتمام أن هناك قضية أو حادثة غامضة في المعادي الجديدة يقوم المفتش بتحقيقها ... وبما أن المفتش لا يذهب إلا إلى القضايا الهامة ... فهذا يعني أنها قضية كبيرة!

فتح «عاطف» فمه دهشة ... فقال «تختخ»: تستطيع الآن أن تكفَّ عن الضحك على «لوزة» وتعرف أن المسألة ليست خطيرة، ولا فيها أسرار ... أنت فقط تريد أن تبدو مُهمًّا.

ثم التفت إلى «لوزة» قائلًا: والآن ... ماذا تريدين يا «لوزة»؟

لوزة: بالطبع نُريد أن نشترك في هذه القضية!

تختخ: كيف؟! هل نذهب للبحث عن القضية في الشوارع، كما يبحثون عن طفل تائه ... أو نلوي ذراع المفتش ونُجبره على أن يقول لنا ما هي القضية؟!

المغامرة الوحيدة

لم تجب «لوزة» ولكنها قفزت فجأة على دراجتها، وأسرعت تُغادر الحديقة ثم تصل إلى الشارع، وبعد لحظاتٍ كانت قد اختفت قبل أن يفيق الأصدقاء.

أخذت «لوزة» تدير بدال الدراجة بأقصى سرعة ... كانت تحسُّ أنها غاضبة جدًّا من كل ما حدث ... وأنها لا تريد أن ترى هؤلاء الأصدقاء مرة أخرى ... ومضت بالدراجة لا تدري إلى أين تذهب ... وكم كانت دهشتها عندما وجدت أنها في الطريق إلى شارع النادي الجديد ... وهو الشارع الرئيسي في المعادي الجديدة ... وتوقفت عند محطة بنزين في الطريق ... ووجدت عمارة جديدة تُبْنَى أمام المحطة، فمضت إليها ونزلت من على الدراجة ... واختارت كومة من الرمال جلست عليها ... لم تكن تدري ماذا تفعل ... كانت غاضبة وحزينة ... ولكنها بعد بضع دقائق بدأت تُراجع موقفها ... وأحسَّت أنها تسرعت ... «فعاطف» شقيقها وهي تعرف أنه يُحبها أكثر من نفسه ... وأن ما فعله هو جزء من طبيعته الساخرة المرحة، وأنه لم يقصد أن يُضايقها أو يؤذيها ... أما «تختخ» فهو صديقها الحميم ... وكل ما فعله أنه سألها رأيها فيما ينبغي عليهم عمله.

كان الظلام قد هبط ... وبدأت الأنوار تُضاء، وأحسَّت «لوزة» بالوحشة وهي تجلس وحدها ... وقررت أن تقوم وتعود إلى البيت ... وفجأة حدث ما لم تكن تتوقعه؛ فقد شاهدت الشاويش «علي» يركب دراجته ويتَّجه إلى شارع النادي الجديد، ودون أي تردُّد قفزت إلى دراجتها وتبعته وقد أحسَّت أن الصدفة التي أتت بها إلى هذا المكان خدمتها ... فلا بد أن الشاويش مشترك في القضية التي يحققها المفتش ... ومن المؤكد أنه مُتجه إلى الموقع الذي وقعت فيه أحداث القضية.

مضى الشاويش و«لوزة» خلفه فتجاوز مجموعة العمارات التي تقع في منتصف شارع النادي الجديد، ثم انحرف فجأةً في شارع ضيق، واقتربت «لوزة» ببطءٍ حتى وصلت

إلى ناصية الشارع، ونزلت، واختفت خلف جدار أحد المنازل، ونظرت على ضوء مصباح الشارع، واستطاعت أن تلمح الشاويش وهو يتوارى داخل حديقة إحدى الفيلات التي كانت تقف أمامها سيارتان إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة ... وقررت «لوزة» أن تتمادى في تحرياتها، فاختارت مجموعة من الأشجار الكثيفة تركت دراجتها عندها، ثم مضت تسير في الشارع الضيق، حتى وصلت أمام الفيلا ... وعرفت على الفور أن السيارة الكبيرة التي تقف أمامها هي سيارة المفتش «سامي» وخفق قلبها ... فهي تسير في الطريق السليم.

نظرَتْ إلى الفيلا من بعيد، ثم اختارت شجرة مقابلة ووقفت خلفها ترقب الفيلا ... لم تلاحظ وجود زحام من رجال الشرطة كالعادة في حالة وقوع حادث سرقة أو غيره ... ولكن عينَيها القويَّتَين لاحظتا وجود نوع من الحراسة المُشَدَّدة حول الفيلا ... فقد كان هناك أكثر من شخصٍ يلبسون الملابس العادية يقِفون في أماكن مُتباعدة حول الفيلا وداخلها ... ولاحظت وجود كشك للبواب، وسمعت نبارح كلبٍ يصدر من الفيلا.

كان السؤال الذي طاف بذهنها على الفور هو: من الذي يسكن هذه الفيلا؟!

إن تحديد السكان يمكن أن يدل على نوع الحادث ... وكان من الواضح أن السكان أغنياء؛ فالفيلا ضخمة ... وبها أجنحة مُتعددة ... ولكن «لوزة» أحسَّت أن في بناء الفيلا شيئًا غير عادي ... شيئًا لا يمكن تحديده ... إنها لم تكن فيلا عادية كآلاف الفيلات في المعادي ... وقالت في نفسها ... ربما أُضِيفَ إليها مبنًى أو جناح زائد ... هذا الذي يمتدُّ إلى الخلف، ويبدو كأنه سفينة في المحيط.

ظلَّت «لوزة» مكانها أكثر من ساعة دون أن يحدث شيء ... ثم خرج الشاويش «علي» وركب دراجته وانطلق ... وأدركت «لوزة» أنها لن تلحق به ... فحتى تصل إلى درَّاجتها يكون هو قد ابتعد ... لهذا قررت البقاء فترةً أخرى ترقُب ما يحدث.

بعد فترةٍ أُخرى ظهر المفتش «سامي» ومعه رجل شديد النحافة ... منكوش الشعر ... يُدخن البايب ويلبس نظارة طبية سميكة ... وكان هو والمفتش يتحدثان ويُشيران بأيديهما. ومن المدهش أنهما كانا يشيران في اتجاه الشجرة التي اختفت خلفها «لوزة» التي أحسَّت بالخوف يدبُّ في كيانها ... هل اكتشف أحد مكانها بهذه السرعة؟! وهل كان خطأً أن تقف في هذا المكان؟ وفجأة أحسَّت بحركة على يمينها ... ودون أن تدري ماذا تفعل كانت قد انطلقت تجري بين الأعشاب وتِلال الرمال التي تُحيط بهذا المكان ... لم تدر «لوزة» لماذا جرت ... ولكنها أحست أنها مهدَّدة بخطرٍ ما ... وكلما توقفَتْ سمعتْ صوت الأقدام خلفها ... فتمضي وتمضي دون أن تدري إلى أين هي مُتجهة، حتى أحسَّت بالإنهاك

الشديد وأن صدرها يكاد ينفجر، فاختارت أقرب مكانٍ يمكن أن تختبئ فيه ... ثم استلقت على الرمال وأخذت تلهث فترةً وهي تحسُّ بالدماء تندفع في رأسها وتكاد تُفجِّره!

ولاحظت «لوزة» أن هناك ضوءًا يتحرك في الظلام، وكان واضحًا أنه كشاف في يد شخصٍ من المؤكد أنه يبحث عنها ... لماذا؟! هكذا فكَّرَت ... هل كانت وقفتها في هذا المكان تُمثل خطأً ما؟! هل من يُطاردها مجرم يعتقد أنها رأته؟

أخذت تُحَدِّث نفسها، والرجل والضوء يتحرَّكان في كل اتجاه ... ولكن بعد فترةٍ ابتعد الضوء وأدركت أنها نجت من المطاردة.

في هذه الأثناء كان بقية المغامرين يبحثون عن «لوزة»، اتفقوا على أن تبقى «نوسة» في المنزل فقد تعود «لوزة» ... وركب الأولاد الثلاثة دراجاتهم وانطلقوا يبحثون عنها. اتجه «عاطف» و«محب» إلى الكورنيش ... أما «تختخ» فقد قرَّر أن يمضي في عُمق «المعادي» ... في اتجاه الصحراء ...

كانت نفسه تُحدِّثه أن «لوزة» غضبت ... وأنها قرَّرتْ أن تخوض تجربة المغامرة وحدها، وأنها ربما تكون قد اتَّجهت إلى المعادي الجديدة حيث يمكن أن تكون الأحداث التي يتحرَّاها المفتش «سامي» هناك.

أخذ «تختخ» يسير في كل اتجاه ... دون أن يُحدِّد لنفسه هدفًا ... وكان الظلام كثيفًا في تلك الليلة ... ولم يكن في إمكانه أن يرى على بُعد كافٍ ... وهكذا قاده السَّير إلى شارع النادي الجديد ... وأخذ يقطعه رائحًا غاديًا دون أن يعثر على أثر ... وفجأة وجد الشاويش «علي» يبرُز من الشارع الجانبي ... وأدرك «تختخ» أنه في البقعة التي تجري فيها الأحداث ... وتبع الشاويش الذي كان يحمل مظروفًا أبيض تحت إبطه ويقود دراجته بيدٍ واحدة.

مضى «تختخ» يطارد الشاويش مُحتفظًا بمسافةٍ مناسبة بينه وبين الشاويش حتى اقتربا من الشوارع المزدحمة ... وفجأة أقبلت سيارة مُسرِعة، خلفها «موتوسيكل» مُسرِع يُحاول أن يتجاوز السيارة ... وفي ثوانٍ قليلة حدث كل شيء ... مضى الموتوسيكل بجوار السيارة مُسرِعًا ... وكان الشاويش يسير بدراجته في المكان نفسه، وارتبك الشاويش وهو يسمع نفير السيارة المزعج ... ونفير «الموتوسيكل» المرتفع، فانحرف يمينًا بشدة، ولم تُسعفه يده الوحيدة في الاحتفاظ بتوازنه، ودارت العجلة الأمامية نصف دورةٍ حادة، وسقط الشاويش على الرصيف وهو يسب ويلعن ... ومضت السيارة وبجوارها «الموتوسيكل» دون أن يهتمَّ أحد بما حدث!

أسرع «تختخ» إلى الشاويش ... ونزل مُسرعًا من على دراجته. كان الشاويش منطرحًا على الأرض وقد طار المظروف الذي يحمله ... واقترب «تختخ» مُسرعًا وانحنى يساعد الشاويش على الوقوف والشاويش يصيح: المظروف ... المظروف ... لقد خطفوه!

قال «تختخ» وهو يمدُّ يدَه ويتناول المظروف: إنه هنا يا شاويش ... لم يخطف أحد شيئًا!

وبطرف عينِه استطاع «تختخ» أن يقرأ على المظروف بضع كلمات ... قضية «س/س» محضر جرد أول!

انقضَّ الشاويش على المظروف بلهفةٍ وصاح: ما الذي أتى بك إلى هنا؟! هل أنت مشترك معهم؟

انتهز «تختخ» فرصة ارتباك الشاويش وقال: من هم يا شاويش؟

ولكن الشاويش كان أكثر حذرًا مما توقع «تختخ» وقال: عفاريت الليل!

تختخ: هل تُطاردك العفاريت يا شاويش؟

قال الشاويش وهو ينفض ثيابه: لا دخل لك في العفاريت ولا الشياطين ... ابتعد عني!

تختخ: هل هذا جزاء من يتدخَّل لإنقاذك!

الشاويش: إنني لم أطلب منك أن تتدخَّل ... إنني أطلب منك ألا تتدخل!

تختخ: أنت حرٌّ يا شاويش ... فلتطاردك العفاريت أو الشياطين ... فهذا من شأنك.

وقف الشاويش ينظر إلى «تختخ» بارتياب، ثم قال: ما الذي أتى بك في هذه الساعة؟

تختخ: الصدفة يا شاويش ... الصدفة!

الشاويش: الصدفة ... أم كنت تتبعني؟

تختخ: إنك الذي تتبع الناس ... ولست أنا!

الشاويش: فرقع من أمامي ... ولا تسخر مني وإلا قبضتُ عليك بتهمة تعطيل موظفٍ في أثناء تأدية عمله!

تختخ: وهل من عملك أن تقع على الأرض بهذا الشكل المُزري!

صاح الشاويش: فرقع من أمامي ... وإلا أخطرتُ المفتش «سامي»!

ودون كلمة أخرى قفز الشاويش إلى دراجته، وانطلق مُبتعدًا، ووقف «تختخ» لحظاتٍ ينظُر إليه وهو يبتعد.

عودة الولد المُتشرِّد

لم يكن أمام «تختخ» إلا أن يعود إلى منزل «عاطف» حيث كانت «نوسة» في الانتظار … على أمل أن تكون «لوزة» قد عادت … ولكنه لم يكد يدخل من باب الحديقة ويجد «نوسة» و«محب» و«عاطف» وحدهم حتى أَحَسَّ بقلبه يتقلَّص … أين ذهبت «لوزة»؟

كان هذا هو السؤال الذي يطوف بأذهانهم جميعًا … ولم تكن له إجابة … ونظر «محب» إلى ساعته ثم قال بصوتٍ مبحوح: إنها العاشرة والنصف!

عاطف: ألا نُبلِّغ الشرطة؟

نوسة: نعم، يجب أن نذهب فورًا لإبلاغ الشاويش «علي» ليُحرر محضرًا بالغياب … ثم نُخطر المفتش «سامي».

عندما سمع «تختخ» اسم الشاويش تذكَّر أحداث الساعة الماضية … وما جرى بينه وبين الشاويش والمظروف الأبيض وقضية «س/س» … وتساءل … هل لغياب «لوزة» علاقة بما حدث؟

فكر «تختخ»، هل يروي للأصدقاء ما حدث؟ ولكن هل هذا وقت الحديث عن الشاويش والألغاز والقضايا و«لوزة» غائبة … وحدها … في هذا الظلام وحيث لا يعرف أحد؟!

كان الجميع يجلسون صامتين … والسؤال الذي سأله «عاطف»، «هل نُبلِّغ الشرطة؟» بلا جواب … وفجأة صاحت «نوسة» … وهي تقف وتجري: «لوزة»! «لوزة»!

ووقف الأولاد الثلاثة، واتجهوا جميعًا إلى باب الحديقة، حيث كانت «لوزة» تقِف.

كانت مُمَزَّقَة الثياب مجروحة اليدَين والساقين … تعلوها الرمال والأتربة، وقد بدا عليها الإعياء الشديد.

صاحت «نوسة» وهي تحتضِنها: «لوزة» … ماذا حدث؟

لم ترُد «لوزة» ... فقد عرفت أنها لو تحدَّثَت فسوف تبكي، وفضَّلت أن تتماسك ومضت بينهم، وأشارت أنها ترغب في الصعود إلى غرفتها.

قال «عاطف»: انتظروا حتى أرى الطريق ... فلو رآها أبي أو أمي بهذا الشكل فسوف تحدُث كارثة!

وتسلل «عاطف» عن طريق باب المطبخ إلى داخل الفيلا ... ثم عاد بعد لحظاتٍ وقال هامسًا: إنهما يتفرَّجان على التليفزيون ... سنصعد من السُّلَّم الخلفي.

وصعد الجميع دون أن يُحدِثوا أي صوت ... وأسرعت «نوسة» مع «لوزة» إلى الحمَّام حيث اغتسلت وغيَّرَت ثيابها، ثم أوَتْ إلى فراشها، وقد بدت أحسنَ حالًا.

جلس الأصدقاء حول «لوزة» وقال «عاطف» وهو يمسح على شعرها بيده: آسِف جدًّا يا «لوزة» ... لقد كنتُ سخيفًا وأحمق!

ردَّت «لوزة» وهي تبتسِم: لا داعي للاعتذار يا «عاطف» هذه هي عادتك وأنا الآسِفة ...

تختخ: وأنا أيضًا أعتذر ... فقد كنت خشِنًا في الحديث إليكِ يا صديقتي العزيزة!

لوزة: إنَّني أشكركما على ما فعلتما ... فلولا أنني غضبت ... ولولا أنني خرجتُ أسير على غير هدًى ... لما توصَّلْنا إلى شيء!

بدا الاهتمام على وجوه المغامرين وقالت «نوسة»: ماذا تقصدين؟

لوزة: إن عندي حديثًا طويلًا لكم جميعًا ... إن القضية التي يُحقِّقها المفتش «سامي» ليست وهمًا، ولا هي مجرد استنتاج ... إنها حقيقة، فقد عرفتُ مكان الأحداث وتعرَّضت لمطاردةٍ عنيفة لم أنجُ منها إلَّا بالدوران حول المعادي كلها!

وأنصت الجميع إليها وهي تقول: إن استنتاجات «عاطف» في مكانها بالضبط، فالأحداث التي يبحثها المفتش تجري في المعادي الجديدة!

وروت «لوزة» للأصدقاء ما حدث لها ... والمطاردة العنيفة التي تعرَّضَت لها في الصحراء وتذكَّرت فجأة وقالت: إنني تركتُ الدراجة بجانب مجموعة من الأشجار عند طريقٍ جانبي في شارع النادي الجديد.

تختخ: إنني أعرف المكان.

لوزة: تعرفه ... كيف؟

تختخ: لقد كنتُ هناك منذ ساعتَين ... وقابلت الشاويش «علي» وهو عائد وقد حصلتُ على معلوماتٍ لا بأس بها.

لوزة: ولكن كيف ذهبتَ إلى هناك؟

تختخ: لقد فكرتُ أنك ربما اتَّجهتِ إلى هذا المكان لتُثبتي صحةَ استنتاجاتك، أو استنتاجات «عاطف» ... بالمعنى الأصح.

لوزة: إنك مُدهش!

تختخ: بل أنتِ المدهشة ... فلولاك لما عثَرْنا على شيءٍ نشغل به أنفسنا في هذا الصيف الطويل المُمل!

لوزة: هل سنتدخَّل؟

تختخ: في الحقيقة لستُ أدري ... المفتش لم يطلُب منَّا أن نتدخَّل فليس من حقِّنا أن نفعل أي شيء ... فقد يؤدي هذا إلى مشاكل مع رجال الشرطة، أو نفسد شيئًا يفعلونه.

محب: أقترح أن نؤجل بحث هذا كله إلى الغد ... إن «لوزة» مُجهدَة بعد المطاردة التي تعرضَتْ لها ... ومن الأفضل أن نتركها تنام، ولنذهب لإحضار الدراجة حيث تركَتْها، وإلا سُرِقَت!

تختخ: معقول ... معقول جدًّا!

ثم التفت إلى «عاطف» وقال: ابقَ أنت بجوار «لوزة» وسنذهب نحن الثلاثة لإحضار الدراجة!

وبعد تحية حارَّة تبادلها الثلاثة مع «لوزة» انصرفوا مُسرِعين ... وبعد لحظاتٍ كانت درَّاجاتهم تمضي في شوارع «المعادي» الهادئة كالصواريخ. ولم تمضِ سوى ربع ساعة حتى أشرفوا على بداية شارع النادي الجديد ... ثم أشار «تختخ» إلى مجموعة أشجار ضخمة تصطفُّ بعد مُنتصفه، وقال: أعتقد أنه المكان الذي تقصده «لوزة» ووضعت عنده درَّاجتها خلف هذه الأشجار!

قال «محب»: أقترح أن يذهب واحد مِنَّا فقط لإحضار الدرَّاجة حتى لا نلفت الأنظار.

تختخ: اذهب أنت يا «محب» فأنت قائد ماهر للدرَّاجات وسأبقى مع «نوسة»؛ فعندي فكرة قد أُنفِّذها بعد عودتك؟

انصرف «محب» مُسرعًا، وبقِيَت «نوسة» مع «تختخ». وكان الظلام والصمت يسُودان المكان، إلا من أضواء النجوم ... ومن صوت بعض السيارات الذي كان يأتي من بعيد.

قالت «نوسة»: ما هي الفكرة التي قد تُنفِّذها بعد عودة «محب»؟

تختخ: أُفكر في قضاء بعض الوقت في مُراقبة هذه الفيلا ... إن الأحداث التي يُمكن أن تدور الليلة قد تكون أحداثًا حاسمة!

نوسة: ولكن المُفتش «سامي» ورجاله هنا!

تختخ: أعتقد أن المفتش «سامي» كان يُغادر الفيلا عندما شاهدَتْهُ «لوزة» مع الرجل الذي يُدَخِّن البايب!

نوسة: ولكن يا «تختخ» إذا كان المفتش قد أخفى عنَّا ما يدور في هذا المكان فلا بدَّ أن عنده أسبابًا قوية لهذا الموقف ... إنه لم يُخفِ عنا شيئًا يمكن أن نُساهم فيه أبدًا!

تختخ: إنَّ المُفتش ما زال يُعامِلنا كصغار، وهو يخاف علينا جدًّا، لهذا يُريد أن يُبعدنا عن المشاكل قدْر ما يستطيع ... ولكن الحقيقة يا «نوسة» أنني منذ سمعتُ بالمطاردة التي تعرَّضَتْ لها «لوزة» ورأيت المظروف الذي كان يحمله الشاويش «علي» تَفَتَّحَت شهيَّتي للعمل!

نوسة: إنني غير موافقة على فكرتك هذه ... لقد نجت «لوزة» بأعجوبةٍ من المطاردة ... وقد لا تنجو أنت ... دعِ المسألةَ كلها للصباح نُناقشها ثم نأخذ فيها القرار المناسب!

لم يرُد «تختخ»، فقد وصل «محب» وهو يقود درَّاجته بيد، ويسحب درَّاجة «لوزة» بيده الأخرى.

قال «تختخ»: ألم تلحظ شيئًا غير عادي هناك؟

محب: الحقيقة أنني لم أستطع مقاومة إغراء إلقاء نظرة على الفيلا من بعيد ... وقد شاهدتُ ما يُشبه الضوء الخاطف يصدُر منها بين لحظةٍ وأخرى ... هذا النوع من الضوء الذي تراه عندما ترى عملية لحامٍ بالأكسجين.

تختخ: لحام بالأكسجين؟! ذلك الضوء اللامع الأزرق؟! يا له من شيء مُثير!

قالت «نوسة»: هيا بنا ... فإنني أُحِسُّ أن هذا المكان غير مأمون!

محب: هل أنتِ خائفة يا «نوسة»؟

نوسة: أبدًا ... ولكننا الآن نعمل بلا خطةٍ مُعينة ... وقد قلت لـ «تختخ» منذ لحظات إننا يمكن أن نفسد خطة المفتش بالتدخُّل في عمله دون أن يدري ... إن المفتش «سامي» ليس الشاويش «علي» ... وأظنه سيغضب جدًّا لو علِم أنَّنا نتصرَّف دون عِلمه!

محب: صحيح ... هيا بنا!

واستدار الثلاثة، ومضَوا يقطعون شوارع المعادي المظلمة حتى وصلوا إلى مُفترق الطرق، فاتَّفَقوا على اللقاء في الصباح، ومضت «نوسة» و«محب» في ناحيةٍ واتجه «تختخ» ناحية منزله.

كان ذهنه مشغولًا جدًّا بما سمع ... وشهيته مفتوحة للعمل. فصعد إلى غرفته، الغرفة التي يُسمُّونها غرفة العمليات ... وتحوي عشرات الأشياء، من بينها أدوات التنكُّر ... فخلع

ثِيابه سريعًا، وانهمك في عملية تنكُّرٍ مُتْقَنَة ... وبعد نصف ساعة فقط كان قد تحوَّل إلى ولدٍ مُتشرِّد ... الشَّعر المنكوش ... الوجه المُتَّسِخ ... الثياب المُمَزَّقَة ... ثم نزل إلى المخزن الصغير الذي يقع بجوار «الجراج» ... حيث يضع والده سيارته، ففتح المخزن وأخرج منه عربة كوكا كولا صغيرة كان قد استخدمها من قبل في عمليات مُماثلة ... كان بها بعض الزجاجات الفارغة ... فدخل إلى الفيلا وأحضر من الثلاجة بضع زجاجاتٍ مُمتلئة ثُم أغلق الباب ودفع العربة أمامه ... وبعد لحظات كان يدفع العربة في الطريق إلى المعادي الجديدة ... كانت الساعة قد تجاوزت مُنتصف الليل وهو يقترب من شارع النادي الجديد، وعندما وصل إلى الطريق الجانبي حيث تُوجَد الفيلا توقف قليلًا يستمع، ثم دفع العربة أمامه، ومضى هادئًا مُحاذرًا وقد فتح عينيه وأُذنيه لكلِّ ما يحدُث حوله.

كوكا كولا بعد منتصف الليل

كان كل شيءٍ هادئًا في الشارع الجانبي الصغير ... وعلى الجانبين ترتفع أشجار الحور الضخمة تُضفي على المكان غموضًا ورهبة، وتُضْعِف من أضواء أعمدة النور على الجانبَين.

واقترب «تختخ» من الفيلا وهو يدفع عربته، وكلما اقترب خفَّف من سرعته، كان يُريد أن يلقي نظرةً ثانية على المكان وأن يرى كل ما يمكن رؤيته ... ويسمع كل ما يمكن سماعه. وعندما أصبح أمام الفيلا تمامًا، لاحظ ما لاحظَتْه «لوزة» من قبل ... أن في بناء الفيلا شيئًا غير عادي ... فهذا الجناح الكبير الذي يُشبه السفينة من الواضح أنه أُضِيفَ إلى الفيلا بعد بنائها ... ومن خلف النوافذ المُغلقة كانت تأتي بين لحظةٍ وأخرى هذه اللمحات الخاطفة من الضوء الأزرق الشديد اللَّمَعان ... بالضبط كما قال «محب» إنها تُشبه البريق الذي يصدُر من جهاز اللحام بالأكسجين.

ماذا يدور حول هذه النوافذ المغلقة؟! ... هكذا سأل «تختخ» نفسه ... ثم عاد يسأل، لماذا يُخفي عنهم المفتش «سامي» هذه القضية التي يُسمِّيها «س/س»؟

إن المغامرين الخمسة لا يمكن أن يقفوا بمعزل عن قضيةٍ تدور في المعادي ... حتى ولو لم يُدعَوا إليها ... خاصة إذا كانت على هذا القدْر من الغموض والأهمية.

نسي «تختخ» في تأمُّلاته وأسئلته أنه توقَّف تمامًا عن الحركة ... ونسِيَ ما حدث لـ «لوزة» في بداية الليل ... وفجأة سمع نباح كلب، وبرَز من الظلام شبح رجل يحمِل بيدِه مصباحًا كهربائيًّا قويًّا سلَّطه على «تختخ» وصاح: قف مكانك!

كانت مفاجأة كاملة «لتختخ»، وبهر الضوء القوي عينيه، فأغمضهما لحظات، وعندما فتحهما كان الرجل يقِف أمامه بالضبط.

وقال الرجل: ماذا تفعل هنا؟

ردَّ «تختخ» وهو يُقَلِّد لغة المُتشرِّد الثقيل اللسان: إنني كما ترى يا سيد أبيع الكوكا كولا.

قال الرجل بصرامة: هل تُريد أن تُقنعني أنك تبيع الكوكا كولا في هذه الساعة من الليل، وفي هذا الشارع الخالي من الناس؟

رد «تختخ»: إنني كما ترى يا سيد ... قد انتهيت من عمل اليوم، وأنا عائد إلى منزلي!

الرجل: لماذا توقَّفتَ إذن أمام هذه الفيلا؟

كان سؤالًا مُحرجًا ولكن «تختخ» ردَّ سريعًا: لقد شاهدتُ ضوءًا غير عادي يأتي منها وخشيتُ أن تكون النيران قد شَبَّت فيها.

صمت الرجل لحظاتٍ كأنما يُقرِّر شيئًا، ثم قال: إذن انصرِفْ فورًا ولا تدعني أرى وجهك مرةً أخرى هنا!

تختخ: سمعًا وطاعة يا سيد!

ودفع عربته أمامه، ومضى وهو لا يُصدِّق أنه نجا من هذا المأزق ... حتى إذا قطع نحو مائتي متر وجد الشارع ينتهي إلى الصحراء ... فدار وهو لا يدري ماذا يفعل، ولاحظ على الفور وجود ضوء في الصحراء المُترامية ... ضوء لمع سريعًا ثم اختفى! ووقف مكانه يرقُب المكان الذي لمع فيه الضوء. وفجأةً شاهد ضوءًا آخر ولكن أبعد من الأول بمسافة ... ثم ضوءًا ثالثًا ... كانت الأضواء تصدُر من أماكن مُتفرقة ... ولا تأخذ شكلًا مُعينًا ... ولم يتردَّد «تختخ» فقد ركن عربة الكوكا كولا في أقرب مكان مُختفٍ عن العيون، ثم بدأ يسير فوق الرمال مُتَّجِهًا إلى حيث تلمع الأضواء ... وأخذ يقترِب على حذَرٍ منها، ولاحظ أنها أضواء متحركة وفجأة اتجه شعاع من الضوء ناحيته في لحظة خاطفة ... ومَرَّ الضوء عليه، وقبل أن يتمكن من الاختفاء عاد الضوء إليه وثبت على وجهه ... وبسرعةٍ ألقى بنفسه على الأرض. وفي اللحظة نفسها انطلقت رصاصة مرَّت فوق رأسه ... وبدَّدتِ السكونَ الذي يرين على الصحراء ... وتكاثفت الأضواء على المكان الذي كان يقِف فيه، وأدرك أنه سيُحَاصَر فورًا ما لم يُسرِع بالابتعاد ... ولم يكن يستطيع أن يقِف فألقى بنفسه على الرمال ... وأخذ يتدحرج مُبتعدًا عن المكان وهو يسمع أصواتًا خافتة تأتي من مصادر الضوء ... وظل يتدحرج حتى تأكد أنه ابتعد مسافة كافية، ثم وقف وأطلق ساقيه للريح في اتجاه المعادي ... كان يجري دون تفكير ... فقد أدرك أنه يواجه عددًا لا يقلُّ عن أربعة رجال ... وأنهم على استعدادٍ لقتله دون تردُّد إذا ظهر ... وبعد أن جرى مسافةً طويلة وقف يلهث ونظر خلفه ... وعلى مبعدةٍ شاهد الأضواء مُتفرقة في المكان نفسه الذي كان به

... واستجمع قوَّتَه ودار دورةً واسعة حول شارع النادي الجديد حتى دخل المعادي من ناحية الاستاد ... ثم خفَّض سرعته ... ومضى يسير بهدوءٍ حتى وصل إلى منزله وهو في غاية الإجهاد.

أسرع إلى الحمَّام، فأزال التنكر ... وغيَّر ثيابه، ثم نزل إلى المطبخ فتناول عشاءً خفيفًا وصعد مرةً أخرى إلى غرفته، وأخرج كراسة مذكراته التي يكتب فيها مُلَخَّصًا دقيقًا لكل مغامرة ... وأخذ يكتُب حتى إذا نظر إلى ساعته وجدَها قد تجاوزت الثالثة صباحًا ... فأطفأ النور ونام.

في التاسعة من صباح اليوم التالي عقد المغامرون الخمسة اجتماعًا من أخطر اجتماعاتهم؛ فهم لأول مرة ينغمِسون في مغامرةٍ لا يرغب المفتش «سامي» في أن يدخلوها ... وقد تورَّطوا فيها ... فهناك احتمال أن يكون الرجل الذي كان يطارد «لوزة» قد رآها ... وهناك احتمال أن يكون الرجال الذين طاردوا «تختخ» قد رأوه ... وإن كانت المسألة بالنسبة «لتختخ» ليست خطيرة لأنه كان مُتنكِّرًا.

بدأ الاجتماع بداية هادئة، ثم تحوَّل إلى صخبٍ شديد ... فعندما أعلن «تختخ» أنه عاد إلى الفيلا الغامضة ليلًا اعترض الأصدقاء على ما فعل، وقالوا إنه أولًا يُعَرِّض نفسه للمخاطر ... ثانيًا أنه يعمل وحده، وهم فريق ويجب أن يعملوا معًا.

قال «تختخ» وهو يرفع يده طالبًا النظام: أرجوكم ... نريد أن ننظم المناقشة فنحن قد انغمسنا في هذه المغامرة بشكل أو بآخر ... ويجب أن يكون واضحًا لكم أنني لم أبدأ ... لقد كان «عاطف» هو الذي بدأ.

صاح «عاطف»: إنك دائمًا تضعني في وجه المدفع!

تختخ: إنني لا ألومك يا «عاطف» ... فمن واجب أي مُغامر يجد فرصةً لِحلِّ لغز غامض، أو الاشتراك في مغامرة لإحقاق العدل أن يتدخَّل. فقط أريد أن أؤكد أنني لا أعمل وحدي ... كل ما هنالك أن نوع المراقبة التي كنت أريد القيام به لا يصلح إلَّا لشخصٍ واحد ... وهذا ما فعلته ...

نوسة: دعونا من هذا كله، وتعالوا ننتقل إلى ما هو أهم ... ما هي الحكاية بالضبط، وكيف سنتصرف؟

تختخ: سأقدم لكم مُلَخَّصًا سريعًا، فقد كتبت أمس في كراستي جميع العناصر التي يتكوَّن منها هذا اللغز وهذه القضية.

وفتح «تختخ» كراسته وقال: أولًا ... إن المفتش «سامي» زارنا. وأعتقد أنه كان مُترددًا في إخبارنا بالقضية التي يعمل بها ... ولهذا فإنني أُرجح أنها قضية تتعلق بأمن الدولة ... فهذه هي القضايا التي يُفَضِّل المفتش «سامي» ألا نتدخَّل فيها لأهميتها وسِرِّيتها، ولأن أجهزة الأمن الأخرى تعمل فيها ... ولعلكم تذكرون لغز «عين السمكة» ... لقد كان المفتش له الموقف نفسه ...

ثانيًا ... ذهبت «لوزة» بالمصادفة إلى مكان الأحداث ووقفت في ظلال الأشجار ترقب الفيلا، ورآها شخص وطاردها ... وهناك احتمالان ... أن يكون الرجل من جهةٍ مُعادية وظنَّ أنها رأته ... أو يكون من رجال الشرطة الذين يحرسون الفيلا ... ثالثًا ... قابلت أنا الشاويش «فرقع» ورأيت المظروف الذي كان يحمله ... وعرفت أن الموضوع خاص بقضية يُسميها المفتش قضية «س/س» وهما حرفان يرمزان إلى شيءٍ لا نعرفه ... رابعًا ... ذهبت أمس ليلًا لمراقبة الفيلا لعلَّني أعثر على شيء يدلني على طبيعة الأحداث التي تجري فيها أو حولها ... وتعرضتُ لاستجوابٍ من شخص خرج من بين الأشجار ... ثم تعرضت لمطاردةٍ في الصحراء أقسى من المطاردة التي تعرضَتْ لها «لوزة»!

وصمت «تختخ» لحظات ثم قال: والآن عندنا مجموعة من الأسئلة تدور حول كل هذه الأحداث منها ... ماذا يدور في هذه الفيلا ذات الشكل العجيب؟ ما سِرُّ الضوء الغريب الذي يصدر منها؟ ماذا حدث فيها استدعى تدخل المفتش «سامي» بهذا الشكل حتى إنه يُخفي عنا معلوماته؟ من هم الأشخاص الذين طاردوني أنا و«لوزة»؟ هل هم أعداء أو من رجال الشرطة؟ ماذا يعني الحرفان «س/س»؟ هذه هي الأسئلة التي سنحاول الإجابة عنها؟

لم يرُدَّ أحد من المغامرين ... فلم تكن هناك إجابات واضحة مُطلقًا عن هذه الأسئلة؛ فعاد «تختخ» يقول: إنني سأُحاول الإجابة عن بعضها دون ترتيب ... أولًا الضوء ... إنه يدلُّ على أن هناك عملية صناعية تتمُّ في الداخل ... إن لحام الأكسجين يُستخدَم في لحام المعادن ... ومعنى ذلك أن ثمة شيئًا يتمُّ تصنيعه في داخل الفيلا ... إذ لاحظنا أن الضوء يصدُر من الجزء غير العادي من الفيلا ... هذا الجزء الذي يبدو أنه أُضِيفَ حديثًا إلى بناء الفيلا القديم.

نوسة: معقول!

تختخ: وأعتقد أن ما يتم تصنيعه في داخل الفيلا هو شيءٌ سِريٌّ ... وأنه شيء يخصُّ الدولة أو يُهمُّها؛ بدليل الحراسة المُشدَّدة التي حول الفيلا!

وسكت «تختخ» ونظر إلى الأصدقاء ثم عاد يقول: وقد حدث شيءٌ في الفيلا خاص بهذه العملية الصناعية ... هذا الشيء دفع المفتش «سامي» إلى التدخُّل، ويبدو أن ما حدث في الفيلا شيء غامض لم يستطع المفتش حلَّه حتى حضوره إلينا بدليل علامات الانزعاج والإجهاد التي كانت ظاهرة عليه ... ونحن نعرف، بتجاربنا مع المفتش، أنه إذا كان يواجه مشكلة يصعُب حلها ... فإن ذلك يبدو في وجهه وفي تصرفاته.

وساد الصمت ... وبدا واضحًا أن «تختخ» انتهى من عرض مُلخصٍ معقول للموقف.

وقال «عاطف»: بما أنني الذي بدأ هذا اللغز ... أو هذه المشكلة ... فعندي اقتراح مهم!

التفت الأصدقاء إلى «عاطف» الذي مضى يقول: نُحَدِّث المفتش «سامي» تليفونيًّا ونطلُب منه أن يزورَنا ... ونضع أمامه كل الأحداث التي مرَّت بنا ... وكل الحقائق التي عرفناها ... ثم نطلُب منه أن يقول لنا ماذا يحدُث في هذه الفيلا الغامضة ... ما رأيكم؟

وقبل أن يجيب واحدٌ من المغامرين ... حدث آخر ما كانوا يتوقعون!

المتهم البريء

اجتاز المفتش باب الحديقة بقامته الطويلة ... وخلفه ظهر الشاويش «علي» وهو يدفع أمامه عربة الكوكا كولا الصغيرة التي تركها «تختخ» قُرب الفيلا الغامضة ونَسِيَها في غمرة الأحداث التي مرَّ بها ليلًا.

كانت رؤية العربة كافيةً لكي يتسمَّر المغامرون في أماكنهم ... فمعنى هذا أن المفتش اكتشف تدخُّلهم في عمله دون إذنه، وأنهم سيتعرَّضون لِلَوم عنيف.

كان وجه المفتش يعكس مدى ما يُعانيه من إرهاق وتوتُّر ... وعندما اقترب من الأصدقاء أرسل «تختخ» نظرة تحذيرٍ لهم ... وفهموا أنه يطلُب منهم أن يتركوا له فرصة الحديث مع المفتش دون تدخُّلٍ منهم.

وقفوا جميعًا عندما اقترب المفتش الذي لاحظ على الفور أنهم لم يُسرعوا إلى لقائه كالمعتاد فقال: إنكم لا تُرحِّبون بي كما اعتدتم أن تفعلوا! ماذا حدث؟

ردَّ «تختخ» مُبتسمًا: لقد كانت زيارتك الأولى مفاجأة لنا فلم تبقَ سوى دقائق، وهذه الزيارة مفاجأة ثانية!

ارتمى المفتش على أحد المقاعد بعد أن حيَّاهم وابتسم لـ «لوزة» فقالت: ليمون مُثلَّج؟!

المفتش: إنه الشيء الوحيد الذي يرُدُّ نشاطي في هذا الحرِّ اللافح!

أسرعت «لوزة» لإحضار الليمون، ومرت بالشاويش الذي كان يقف بجوار العربة الصغيرة وقالت: ليمون أيضًا يا شاويش؟

الشاويش: لا ... شاي ثقيل من فضلك!

شبَّك المفتش يدَيه خلف رأسه ومال إلى الخلف وأغمض عينَيه لحظات، ثم قال: ما هي أخباركم؟

رد «تختخ»: إننا ننتظر الأخبار منك!

أشار المفتش إلى عربة الكاكولا الصغيرة وقال: إنني أريد أخبار هذه العربة ... فنحن نعتقد أننا لو عثرْنا على صاحبها، فسوف نضع يدَنا على طرف الخيط في قضية مُعَقَّدَة نتولاها هذه الأيام.

تبادل المغامرون نظرةً عاجلة ... وأغمض «تختخ» عينيه بسرعة، ثم فتحهما على العربة وقال: هل هي بهذه الأهمية؟

ردَّ المفتش: نعم ... وقد كان رجالي منذ الصباح الباكر عند جميع مُتعهدي الكوكا كولا في المعادي ... وسألوهم عنها، ولكنهم جميعًا أكدوا أنهم لم يرَوها من قبل ... وقد لاحظتُ أن الزجاجات الفارغة فيها يعلوها التراب، مما يؤكد أنها كانت مركونة فترة طويلة ... وأنها استُخْدِمَت لغرضٍ مُعين ... هو مراقبة مكانٍ تجري فيه أحداث هامة ... وبمعنى آخر ... أنها ليست عربة كوكا كولا حقيقية إنها مجرد أداة لغرض مُعين!

بلل «تختخ» شفتيه بلسانه ... فقد أحس بريقه يجِفُّ وقال: وما هو المطلوب منَّا؟!

المفتش: المطلوب منكم أن تُجْروا تحرياتٍ واسعة عن هذه العربة ... إن لكم أصدقاء كثيرين هنا ... وأنتم تتجولون كثيرًا في المعادي وأنتم مُغامرون أذكياء، وإنني أعتمد عليكم في العثور على أية معلومات عن هذه العربة.

كان رأس «تختخ» مسرحًا لصراعٍ فكري عنيف ... ماذا يفعل الآن، هل يقول للمفتش الحقيقة؟ ويتعرض لِلَومه؟ أم يخفي الحقيقة كما أخفى المفتش عنهم حقيقة ما يدور في الفيلا من أحداث؟!

وقرَّر أن يترك المناقشة لتُحدِّد له ما يقول من معلومات.

قال «تختخ»: وما هي القضية التي تتولَّونها هذه الأيام؟

رد المفتش: إنها قضية غامضة ... أُفضِّل ألا نتحدث فيها.

وفي هذه اللحظة وصلت «لوزة» وسمعت كلمتي قضية غامضة، فقالت دون احتياط: قضية الفيلا؟!

اهتزَّ المفتش لدى سماعه ما قالته «لوزة» وقال: ماذا تعرفون عن الفيلا؟

أسرع «تختخ» وهو ينظر إلى «لوزة» مُحَذِّرًا يقول: إن «لوزة» تستنتج أن أي شيءٍ يحدث في المعادي لا بد أن يحدث في فيلا ... باعتبار أن أكثر سكان المعادي يسكنون في فيلات ... وأكثر الألغاز التي اشترَكَتْ في حلها دارت في فيلات.

مطَّ المفتش شفتيه وبدا غير مقتنع بهذا التفسير، وقال: جائز، وبالنسبة للإجابة عن سؤالك ... فإنني أُفضِّل ألا تعرفوا شيئًا عن القضية الآن ... إنها قضية خطيرة ومُعَقَّدَة وحتى أمس كُنَّا في ظلامٍ دامس بالنسبة لها ... ولكن الأحداث تطورت أمس، فقد طارد رجالي شخصًا ضئيل الجسم في صحراء المعادي بعد هبوط الظلام، ولكنه استطاع الإفلات وإن كنا ما نزال نحاصر المنطقة وعندنا أمل أنه لم يخرج من الصحراء بعد ... وقد يضطر إلى تسليم نفسه.

تناول المفتش كوب الليمون من «لوزة»، ولاحظ أن وجهها شديد الاحمرار فقال: مالك يا «لوزة»؟

نظرت «لوزة» إلى «تختخ» ولاحظ المفتش نظرتها فقال: إنني أُلاحظ أن «توفيق» وحده الذي يرد على أسئلتي ... حتى «لوزة» تستأذنه في الإجابة ... ماذا حدث؟

لجأ «تختخ» للمناورة فقال مُبتسمًا: إنني أمثل المتحدث الرسمي للمغامرين الخمسة؟

لم يبلع المفتش هذا الطُّعم وقال: إنني أُحسُّ أنكم تُخْفون شيئًا عني ... وهذا شيء مؤسف!

تختخ: الحقيقة أننا مُتألِّمون لأنك تخفي عنا ما يدور من أحداثٍ في المعادي، ونحن نعرف أنك تخاف علينا من الانغماس في المغامرات الخشِنة ... ولكن النشاط الذي يدور حول الفيلا الغامضة في الشارع المُتفرِّع من شارع النادي الجديد لم يعُد سرًّا!

قال المفتش بارتياع: كيف؟

تختخ: إن وجودك ووجود عددٍ كبير من رجالك حول الفيلا في وضح النهار لا يحتاج إلى تفسير ... فأنتم بالتأكيد لا تقومون بزيارة الفيلا، لا بدَّ أن هناك ما يستدعي تواجدكم هناك!

المفتش: وماذا عرفتم من معلومات عن الفيلا الغامضة؟

تختخ: بمنتهى الصراحة، عندنا من المعلومات ما يؤكد أنكم تسيرون في الطريق الخاطئ!

كانت ملاحظةً قاسية بالنسبة للمفتش فبدا مُتضايقًا وقبل أن يتحدَّث وصلت الشغالة تحمل التليفون وقالت: تليفون لسيادة المفتش!

واختطف المفتش سماعة التليفون وأخذ يستمع وهو يبتسم، ثم أنهى المكالمة قائلًا: عظيم سأحضر فورًا!

وحيَّا المفتش الأصدقاء قائلًا: أعتقد أننا نسير في الطريق الصحيح ... فقد تمَّ القبض على الولد المُتشرِّد الذي كان يتظاهر ببيع الكوكا كولا أمس أمام الفيلا، وسوف نحصل على اعترافاته.

فتح «تختخ» فمه مُندهشًا ... وبدت على وجوه المغامرين علامات الدهشة البالِغة وقبل أن يتمكن أي واحدٍ فيهم من الحديث، كان المفتش قد انطلق مُبتعدًا وخلفه الشاويش «علي» يسير في كبرياء وهو يدفع عربة الكوكا كولا أمامه.

كان لما قاله المفتش وقع القنبلة على المغامرين ... فلم يكن من المعقول القبض على الولد المُتشرِّد كما قال المفتش ... لسببٍ بسيط يعلمونه جميعًا، أن الولد المتشرد لم يكن سوى «تختخ» مُتنكرًا ... ومعنى هذا أن المقبوض عليه مظلوم ... وأن المفتش ورجاله يسيرون في طريق خاطئ تمامًا بالنسبة للقضية.

كانت «لوزة» أسرع الجميع إلى الحديث فقالت: ماذا نفعل الآن؟ من غير المعقول أن نترك بريئًا يُقبَض عليه ... والمغامرون الخمسة هم أنصار العدالة!

محب: لقد تحركت سيارة المفتش بسرعة ... ولا ندري أين ذهب لنُخبره بالحقيقة!

عاطف: إنه بالطبع مُتَّجِه إلى قسم الشرطة ... فالتحقيق يجب أن يتمَّ هناك!

نوسة: المشكلة الآن أنَّنا إذا أخطرنا المفتش بأن المتشرد الذي قبضوا عليه بريء ... وقلنا إن «تختخ» هو الذي كان يبيع الكوكا كولا فسنضع «تختخ» في مأزق، فسوف يسأله المفتش عما كان يفعل هناك!

عاطف: لقد كان خطأً من البداية أن نتدخَّل في هذا اللغز دون أن نقول للمفتش، إن الموقف يزداد سوءًا!

كان «تختخ» صامتًا وهو يستمِع إلى أحاديث الأصدقاء ثم قال فجأة: اهدءوا قليلًا ... إنني سوف أتحمَّل مسئولية كل ما حدث.

لوزة: إنني مسئولة معك ... لأنني ذهبت دون أن أقول لكم وراقبت الفيلا!

عاطف: وأنا مسئول أيضًا لأنني أول من تحدث في هذا الموضوع!

نوسة: دعوكم من هذا السخف عن المسئولية ... إن المغامرين الخمسة مسئولون بالتضامن في كل موقف ... المهم الآن ليس تحديد المسئولية ... المهم كيف نُنقِذ هذا البريء المظلوم؟

عاطف: ليس هناك سوى حلٍّ واحد ... أن نخطر المفتش فورًا بالحقيقة، ونتحمَّل لومه ... أولًا لإنقاذ هذا الشاب المقبوض عليه ظلمًا ... ثانيًا حتى لا يستمر المفتش ورجاله في السير بالتحقيق نحو جهةٍ خاطئة.

تختخ: سأتَّصِل به تليفونيًّا.

وأمسك «تختخ» بالتليفون وأدار رقم قسم الشرطة ... ولكن الرقم كان مشغولًا ... وأخذ «تختخ» يُكرِّر الاتصال ... وفي كل مرة كان التليفون يُعطي إشارة مشغول ... وأخيرًا قال وهو يقف: سأذهب فورًا إلى القسم!

نوسة: سآتي معك!

تختخ: لا داعي، سأذهب وحدي ... وسأعود إليكم فورًا!

قفز «تختخ» إلى درَّاجته وانطلق كالصاروخ في طريقه إلى قسم الشرطة ... ولكنه عندما وصل إلى هناك فوجئ بأن سيارة المفتش ليست موجودة وأدرك أن المفتش ذهب إما إلى الفيلا ... وإما أنه أخذ معه المتهم البريء وذهب به إلى إدارة البحث الجنائي في القاهرة.

وبرغم الحرارة الشديدة ... والعرق الذي يتصبَّب منه انطلق «تختخ» في الطريق إلى الفيلا في آخر المعادي ... وبعد نصف ساعة وصل إلى شارع النادي الجديد، وانحرف في الشارع الجانبي الضيق ... وخفق قلبه عندما شاهد سيارة المفتش تقِف أمام الباب، فترك درَّاجته واندفع إلى باب الفيلا.

ما هو «س/س»؟

كان الباب مُغلقًا ... وأحد الحرَّاس يقف خلفه ... وفي الوقت نفسه انطلق كلب ضخم أسود من نوع «كانيش» غزير الشعر ينبح بشدة ... ويقفز محاولًا الوصول إلى «تختخ» ... وخرج البوَّاب من غرفته ونادى الكلب الذي استكن على الفور ... ووضع ذيله بين فخذيه علامة الخوف والخضوع.

قال الحارس: ماذا تريد؟

رد «تختخ»: أريد المفتش «سامي»!

الحارس: إنه مشغول جدًّا!

تختخ: من فضلك قل له «توفيق» يُريد مقابلتك.

هزَّ الحارس رأسه، ثم اتَّجَه إلى داخل الفيلا، وبعد لحظات ظهر المفتش «سامي»، وأشار إلى «تختخ» بالدخول ... أسرع «تختخ» يصعد درجات السُّلَّم الرخامي العريض، وقال للمفتش على الفور: أريد أن أتحدَّث معك بضع دقائق على انفراد!

المفتش: ألا يمكن تأجيل الحديث الآن، فإن مدير الأمن العام موجود بالداخل!

تختخ: من الأفضل أن تستمع لي الآن!

المفتش: هل هي معلومات خاصة بما يدور حول هذه الفيلا!

تختخ: ليست معلومات ... ولكن تصحيح للمعلومات التي عندكم!

المفتش: انتظر لحظةً وسأعود إليك!

دخل المفتش الفيلا، وأغلق الباب خلفه ... ووقف «تختخ» يفحص كل شيءٍ حوله، ولاحظ «تختخ» أن الفيلا تُشبه قلعةً حصينة ... بأسوارها المرتفعة ... ونوافذها المُشبكة بقضبان الحديد ... واشتم رائحة غريبة تَشيع في الجو ... رائحة تُشبه احتراق مواد كيماوية.

وظهر المفتش بعد لحظات ومعه رجل واضح أنه أجنبي، وتبادل مع المفتش بضع كلمات ثُم نزل وركب سيارة «فولكس فاجن» كانت تقف أمام الفيلا، وانطلق.

خطا المفتش نحو «تختخ» وقال: والآن يا «توفيق» … أريد أن تقول ما عندك باختصار!

كان واضحًا من لهجة المفتش أنه ضَيِّق الصدر، وأنه مشغول البال للغاية فقال «تختخ»: إن الشبح الذي طارده رجالك أمس في الصحراء … لم يكن سوى «لوزة».

رفع المفتش رأسه وبدت في عينَيه نظرة دهشة بالغة … ومضى «تختخ» يقول: أما الولد المتشرد الذي كنتم تبحثون عنه أمس والذي كان يبيع الكوكا كولا … فلم يكن سواي!

المفتش: أنت؟

تختخ: نعم!

أمسك المفتش بذراع «تختخ» ونزل السُّلَّم الرخامي معه مُسرعًا وقال: تعال نتحدث في الحديقة.

وفي طرف الحديقة الواسعة جلسا معًا على مقعد وقال المفتش: هل أنت متأكد مما تقول؟

تختخ: بالطبع!

المفتش: ولماذا لم تقولوا لي هذا من البداية؟

تختخ: في الحقيقة نحن آسِفون لما حدث … ولكن كان عندنا شعور بأنك لا تُريد إشراكنا في الموضوع الذي يشغلك، فأردْنا أن نتصرَّف على طريقة المغامرين الخمسة ونشترك في حل اللغز من بعيد.

المفتش: قل لي باختصارٍ كيف حدث كل هذا؟

تختخ: عندما زرتُ منزل «عاطف» أمس، تَحَدَّث أمامك عن زيارةٍ قُمنا بها للمعادي الجديدة، ولاحظ أنك أبديتَ اهتمامًا بهذا الكلام واستنتج أن ثمة شيئًا يحدث هنا، وأنك انتقلت للتحقيق.

المفتش: وبعد؟

تختخ: في المساء كنا نتحدث عن هذا الاستنتاج، وتصورت «لوزة» أن هناك لغزًا في انتظارنا، وكالعادة سخِرَ منها «عاطف»، واشتركتُ أنا أيضًا في هذه السخرية دون أن أقصد … فغضبت «لوزة» وخرجت في الظلام على درَّاجتها … وبالصدفة شاهدت سيارتك أمام باب الفيلا فعرفت أن القضية التي تحققها تدور فيها … فوقفت تُراقِب، وشاهد أحد رجالك شبحها — وذلك حسب ما عرفنا منك بعد ذلك — فطاردها … ولكنها استطاعت الفرار منه!

المفتش: لهذا قال لي الحارس إنه كان يطارد قزمًا!

تختخ: وفي الليل قررتُ أنا أن أقوم بمراقبةٍ دقيقة، فتنكرتُ في شكل بائع كوكا كولا، ومررتُ أمام الفيلا، وتوقفت قليلًا، وتَحَدَّث معي أحد الحراس فمشيتُ ثم رأيت البحث يدور في الصحراء، فلَّما حاولت الاقتراب من الرجال شاهدوني وطاردوني.

المفتش: شيء مذهل ... مذهل!

تختخ: لهذا جئتُ أقول لكم إن الولد الذي قبضتم عليه بريء ... وقد ذهبت إلى قسم الشرطة لإخطارك فلم أجدك، فجئتُ إلى هنا.

قال المفتش في ضيق: وهكذا عُدنا إلى البداية من جديد ... لقد ظننا أننا وضعنا يدَنا على طرف الخيط في هذا اللغز العجيب، وبمجرد أن قبضنا على الولد حضر مدير الأمن، ولكن هكذا اتضح أننا نتخبط في الظلام!

تختخ: إنني آسِف جدًّا!

المفتش: لا بأس!

تختخ: هناك شيء آخر ... لقد وقع الشاويش «علي» أمس من على دراجته ... وبالصدفة كنتُ مارًّا بجواره، فأسرعتُ إلى مساعدته، وشاهدت معه مظروفًا مكتوبًا عليه قضية «س/س».

أدار المفتش وجهه ناحية «تختخ»، وقال في همس: وهل عرفت ماذا تعني كلمة «س/س»؟

تختخ: لا ...!

سكت المفتش لحظات ثم قال: اسمع يا «توفيق» ... إننا نُعالج قضية على أكبر جانب من الخطورة ... إنها تتعلق بأمن مصر ... لهذا لم أشأ أن أُخبركم بشيء عنها، ولكن ما دُمتَ قد وضعَتْك الظروف داخل الأحداث، فسأقول لك بعض المعلومات عن هذه القضية وعاهِدْني على أن ما تسمعه لن يخرج من فمك.

تختخ: لقد جرَّبتَ مرَّات كثيرة أن تثِقَ في المغامرين ... وكنَّا دائمًا موضع ثقتك ...

المفتش: في هذه الفيلا يعمل ثلاثة من العلماء لتطوير سلاح سِرِّي خطير يُهِم مصر، اثنان هما دكتور مهندس «عزت» والثاني دكتور كيمائي «سليم» ... والثالث عالم أجنبي يُدعى «كلود»!

تمتم «تختخ»: سلاح سِرِّي يُساوي «س/س»!

المفتش: بالضبط ... إنك ما زلت ذكيًّا كالمعتاد!

وسكت المفتش لحظات ثم أضاف: وقد جُهِّزَت هذه الفيلا خصيصًا لهذا الغرض بعيدًا عن الأعين … وأُضِيفَ إليها جناح خاص للتجارب!

تختخ: لقد لاحظت «لوزة» منذ البداية أن شكل الفيلا غريب نوعًا!

ابتسم المفتش لأول مرة وقال: إنها غاية في الذكاء!

وتنهَّد المفتش وقال: وكان كل شيء يمضي على ما يرام، ويتم العمل تحت حراسةٍ مُشَدَّدَة حتى حدث منذ خمسة أيام أن وصلت إلينا معلومات تفيد أن هناك تَسَرُّبًا لما يحدُث في الفيلا من تجارب!

تختخ: تَسَرُّب؟

المفتش: نعم … تسربت معلومات من داخل الفيلا إلى الخارج … والمدهش … بل ممَّا يُثير أشد الحيرة أن ما تسرَّبَ من معلومات ليس معلومات كلامية … ولكن صور أيضًا.

ونظر المفتش إلى «تختخ» وقال: تصوَّر تحت هذه الحراسة المُشَدَّدَة … ومع تفتيش كل من يدخل أو يخرج من هذه الفيلا، تتسرَّب معلومات وصور!

تختخ: ذلك شيء غير معقول فعلًا!

المفتش: ولكن لِحُسن الحظ أن المعلومات والصور التي تسربت ناقصة … ولا تُكَوِّن صورة كاملة للتجارب التي تدور داخل الفيلا!

تختخ: وماذا فعلتم؟

المفتش: أعدنا فحص كل شيء فحصًا دقيقًا … بحثنا عن أي «ميكروفونات» مُخَبَّأة أو أجهزة تنصت أو تصوير من بعيد … فحصنا الجدران والأسقف، أعدنا بحث ماضي كل شخصٍ يعمل هنا … وبرغم هذا لم نصل إلى شيء!

تختخ: ألم تشتبه في شخصٍ بالذات؟

المفتش: لا بدَّ أنك تقصد العالم الأجنبي «كلود»، هذا بالطبع كان أول من اشتبهتُ فيهم … وقد قمتُ بمراقبته مراقبةً كاملة ودقيقة طوال الـ٢٤ ساعة ولكن لا شيء ضده مُطلقًا … وقد أعدنا سؤال حكومته عن شخصيته، فأكدوا أنه لا يمكن أن يتصل بالحكومات الأجنبية التي تقوم بعملية التجسس!

تختخ: إنه شيء مُحَيِّر للغاية!

المفتش: إن أجهزة الأمن كلها تقوم بفحص المسألة من أولها إلى آخرها … وقد نُضطر في النهاية لإيقاف المشروع مؤقتًا، برغم أن السلاح الذي يعملون فيه مُهم جدًّا لنا.

ساد الصمت بين المفتش و«تختخ» ثم قال المفتش: أستأذنك في العودة إلى الفيلا!

قام المفتش لينصرِف فقال «تختخ»: ألا أستطيع أن آتي معك؟

المفتش: آسف يا «توفيق» ... إنها مسألة ليست عادية ... ولا أظن أنَّ للمغامرين الخمسة دورًا فيها ... وقد كان هذا رأيي من البداية ... ولم تكن مسألة ثقة أو غيره.

تختخ: إذن أرجو أن تسمح لنا فقط بجمع ما يمكن من المعلومات المُفيدة لكم عن العلماء الثلاثة ... وأن تُخْطِر رجالك بأننا قد نتجوَّل حول الفيلا فلا يتعرضوا لنا!

المفتش: لا بأس ... بشرط السِّرِّية المطلقة في كل ما تفعلون، فإن أي خطأ قد يُكلفنا الكثير.

تختخ: أَعِدُك أن نعمل بمنتهى السرية والحذر ... فقط أريد كشفًا بعناوين العلماء الثلاثة ... وأظن أن الباقين جميعًا من رجال الأمن!

المفتش: تمامًا ... عدا البواب طبعًا، فهو في الفيلا منذ زمنٍ بعيد، وعلى كل حال فليس مسموحًا له بدخول الفيلا مُطلقًا ... كما أن أحدًا لا يدخل معمل التجارب عدا العلماء الثلاثة.

تختخ: اتفقنا ... ونكرر أسفنا.

المفتش: سأرسل لك كشف العناوين مع الشاويش «علي» ... ولِحُسن الحظ فالعلماء الثلاثة يسكنون المعادي.

وانصرف «تختخ» مُسْرِعًا ... ورأسه مسرح لشتَّى الأفكار.

مزيد من المعلومات

عندما وصل «تختخ» إلى الأصدقاء، وجد «زنجر» في انتظاره ... فقد ضاق الكلب الذكي بوحدته في البيت، فخرج إلى منزل «عاطف» ... فهو يعرف بالعادة أن «تختخ» لا بدَّ أن يكون هناك ... وما كاد «زنجر» يرى صاحبه حتى أسرع يستقبله قافزًا على كتفيه ... ولكن «تختخ» لم يكن مُستعدًّا لأي ملاطفة ... فقد كانت قضية السلاح السري تشغله تمامًا.

واتجه إلى الأصدقاء الذين استقبلوه بعيونٍ مُستَطْلِعَة ... فجلس، وتحدث بصوتٍ خافت وبسرعة شرح لهم الموقف ... وانتهى إلى قوله: وستكون مُهمتنا مراقبة العلماء الثلاثة ... إنهم وحدهم المسموح لهم بدخول معمل التجارب ... والمسألة ببساطة أن واحدًا منهم خان الأمانة التي يحملها، واتصل بالأعداء ليُبلِّغهم بما يحدث داخل المعمل. فإن الصور والمعلومات التي تسرَّبَت كلها خاصة بالمعمل والمناقشات التي تدور بين العلماء عن التجارب.

قالت «لوزة»: هناك نقطة مهمة يا «تختخ» لا أدري إذ كانت لفتت نظرك أم لا.

تختخ: ما هي؟

لوزة: لماذا تصِل الصور والمعلومات ناقصة إلى الجهة المعادية؟

رفع «تختخ» حاجبَيه دهشًا ثم قال: الحقيقة لست أدري!

عاطف: بالطبع لا بدَّ أن تصِل الصور والمعلومات ناقصة ... فالجاسوس لا يحصل على الصور كأنه في استديو مثلًا، بل إنه يختلس الصور من أي زاويةٍ وبأية سرعة، لهذا لا تكون واضحة أو دقيقة.

لوزة: إن ما قصدته من سؤالي يا «عاطف» هو أننا إذا عرفنا شكل الصور التي وصلت الجهة المعادية، فربما كان في إمكاننا أن نُحدِّد كيف التُقِطَت وبالتالي من الذي التقطها.

تختخ: هذا مُستحيل يا «لوزة»، إن الحصول على صورٍ من الجهة المعادية ليس مُمكنًا على الإطلاق ... يكفي أن مُخابراتنا استطاعت معرفة أن الصور والمعلومات تتسرَّب ... وأنها صور ومعلومات ناقصة بحيث لم يستطع العدو حتى الآن الاستفادة منها!

محب: إن هناك نقطة تحسم مشكلة البحث عن الجاسوس، فالصور والمعلومات خاصة بالمعمل، وبمناقشات العلماء الثلاثة، ومعنى ذلك أن أحد العلماء الثلاثة هو الجاسوس ... وذلك يُضيِّق نطاق البحث، ويجعله في دائرة هؤلاء الثلاثة.

تختخ: هذا ما فكرتُ فيه يا «محب» وقد طلبت من المفتش «سامي» أن يُرسِل لنا كشفًا بعناوين العلماء الثلاثة ... لِحُسن الحظ أنهم جميعًا يسكنون في المعادي ... وسنراقبهم مُراقبة دقيقة لعلَّنا نصل إلى شيء؟

نوسة: ولكنك قلت إن الأجهزة المسئولة في بلادنا عن هذه العمليات، بما في ذلك المفتش «سامي» ورجاله، قد قاموا بكل هذا ولم يصِلوا إلى شيء ... فماذا سنفعل نحن؟

ساد الصمت لحظات ثم قال «عاطف» بمرح: يضع سِرَّه في أضعف خلقه!

لوزة: على كل حال دعُونا نراقب ونرى ... ربما عثرنا نحن على ما عجز عنه الكبار!

عاد «عاطف» يقول: يعملوها الصغار ويقع فيها الكبار!

وضحك الجميع ... واتفقوا على فضِّ الاجتماع على أن يعودوا إلى التقاءٍ في المساء بعد أن يرسل لهم المفتش عناوين العلماء مع الشاويش ... ولكنهم ما كادوا يقفون حتى سمِعوا صوت جرس دراجة الشاويش ... هذا الجرس الحزين الذي لا مثيل له.

وظهر الشاويش «فرقع» على باب الحديقة، ونزل ... وأسرع «زنجر» لممارسة هوايته في مُداعبة ساقي الشاويش الذي أخذ يصيح مُسْتَنْجِدًا وهو يتوعَّد الأصدقاء.

أسرع «تختخ» ينهر «زنجر» ويطلُب منه الابتعاد وقال الشاويش ساخطًا: يجب التخلُّص من هذا الكلب ... لم أر في حياتي كلبًا بهذه الوقاحة ... إنه يعتدي على مُمثِّل القانون وهي جريمة يعاقب عليها القانون.

قال «عاطف» الذي اقترب مع بقية المغامرين من الشاويش: إن «زنجر» يُرحب بك يا شاويش ولولا أنه يُحبك لما كَلَّف نفسه هذه المشقة!

الشاويش: وهل هذا أسلوب الترحيب؟! إن الكلب «بلاكي» كلب الدكتور «عزيز» كلب مُهَذَّب حقًّا ... إنه يُطارد الغرباء ... أما أنا فهو يُعاملني أحسن معاملة.

تختخ: هذا الكلب الأسود الغزير الشعر؟

الشاويش: نعم ... إنه كلب تربى تربية طيبة، وليس مثل هذا الكلب!

ومدَّ الشاويش يدَه بمظروفٍ مغلق إلى «تختخ» قائلًا: هذا المظروف أرسله لك المفتش «سامي».

تختخ: شكرًا يا شاويش. تعال خُذ كوبًا من الشاي.

قبِل الشاويش الدعوة فورًا، خاصة بعد أن رأى «زنجر» ينكمش بعيدًا عنه ... وجلس مع الأصدقاء وكانت خطة «تختخ» واضحة بالنسبة للمغامرين فمن المؤكد أنه يريد استدراج الشاويش ليعرف منه قدرًا أكبر من المعلومات عما يدور في الفيلا.

وابتسم الشاويش «علي» مع كوب الشاي ... و«تختخ» يحاوره حول ما يدور في الفيلا ... وكان الشاويش ظريفًا، فقد اطمأنَّ لأن المفتش يتعاون مع المغامرين ولا بأس أن يتحدَّث هو أيضًا بما يعرف.

قال «تختخ»: من هو مدير المعمل يا شاويش «علي»؟

الشاويش: الدكتور «عزيز» ... إنه لا يُغادر الفيلا إلا نادرًا، حتى الطعام يتناوله هناك.

تختخ: ومن الذي يُعِدُّ له الطعام في الفيلا؟

الشاويش: إن طعامه يأتي من منزله القريب.

تختخ: ومن الذي يُدْخِل الطعام إلى الفيلا؟

الشاويش: أحد رجال المفتش «سامي»، فالطباخ يُحْضِر الطعام حتى باب الفيلا فقط ... ثم يأخذه أحد رجال المفتش إلى داخل الفيلا حيث يتناوله الدكتور «عزيز» ثم يُعيد الأواني الفارغة إلى الطباخ.

كانت عينا «لوزة» تلمعان وهي تسمع هذا الحوار ... فقد أدركت شك «تختخ» أن يكون ضمن أدوات الطعام جهاز تسجيل دقيق.

وهذا فعلًا ما كان يهدف إلى إثباته «تختخ» ... ومضى يتحدَّث إلى الشاويش: والدكتور «سليم» هل يتناول طعامه في الفيلا؟

الشاويش: مُطلقًا ... إنه منتظم في مواعيده كالساعة ... في الثامنة يصِل إلى الفيلا ومعه «ترموس» به قهوة ... وفي الثانية يُغادر الفيلا ثم يعود في الخامسة ومعه «الترموس» مرة أخرى، ويبقى حتى العاشرة ثم يُغادر الفيلا إلى منزله.

تختخ: والدكتور «كلود»؟

الشاويش: إنه مثل الدكتور «سليم» ولكن زوجته تحضر أحيانًا إلى الفيلا وتبقى في الحديقة لحين انتهاء زوجها من عمله، ثم يركبان معًا سيارتهما «الفولكس فاجن» الصغيرة ويذهبان لتناول الغداء.

تختخ: والبواب يا شاويش ... ألا يدخل الفيلا؟

الشاويش: مُطلقًا ... إنه يهتم بالزهور والكلب فقط ... ومهمته لا تستدعي دخول الفيلا أبدًا.

كان المغامرون ينصتون باهتمام إلى حديث «تختخ» والشاويش ... وقد أبدت «نوسة» اهتمامًا خاصًّا «بالترموس» الذي يدخل مع الدكتور «سليم» أليس من الممكن أن يكون به جهاز تسجيل؟

ولم يكد الشاويش يُغادر الحديقة، وهو ينظر بارتياب إلى «زنجر» حتى انطلق كل واحدٍ من المغامرين يشرح وجهة نظره ... هناك زوجة الدكتور «كلود» التي تبقى في الحديقة وقتًا طويلًا ... ولعلَّ معها أجهزة دقيقة تستطيع التقاط حوار العلماء في الداخل ... وهناك «ترموس» الدكتور «سليم» الذي يأخذه يوميًّا ... أليس من الممكن أن يُرَكَّب في هذا «الترموس» جهاز تسجيل دقيق ... في الغطاء مثلًا؟! ثم هناك صينية الطعام التي تدخل يوميًّا ... أليس من الممكن دس جهاز تسجيل دقيق في أحد الأطباق؟ بل أن يكون أحد الأطباق ذاته جهاز تسجيل ... ربما مثلًا في المَلَّاحة التي يوضَع فيها الملح والفلفل!

وخرج «عاطف» بنظريةٍ أخرى: السيارة ... إنها أفضل مكانٍ يمكن أن يكون به جهاز تسجيل، يسجل أخفت الأصوات على مسافاتٍ بعيدة.

قال «تختخ» إن التركيز كله على جهاز التسجيل ... هل نسيتُم أن هناك صورًا تُلتَقَط أيضًا؟! هل يمكن تثبيت «كاميرا» صغيرة في أي شيء مما يُدْخَل إلى الفيلا مع العلماء الثلاثة؟

أجابت «نوسة»: إن الكاميرا في هذه الحالة ستُصَوِّر منظرًا واحدًا ... وهو المنظر الذي يكون أمامها طول الوقت.

تختخ: ولكن الترموس ينتقِل من يدٍ إلى يد ... وربما في كل مرة يُسجل صورة ... خاصة أن الصور كما عرفنا ليست كاملة ... مما يعني أن من يصورها ليس شخصًا، وإلا لقام بتصوير صور دقيقة.

تختخ: المهم الآن أن نوزع الاختصاصات ... ستقوم «لوزة» و«نوسة» بمراقبة منزل الدكتور «كلود» و«عاطف» سيراقب منزل الدكتور «سليم» و«محب» يراقب منزل الدكتور «عزيز».

لوزة: وأنت يا «تختخ»؟

تختخ: سأراقب الفيلا ... ما زلتُ أعتقد أن شيئًا ما أو شخصًا ما يدخل الفيلا تحت سمع رجال المفتش «سامي» وبصرهم دون أن يشكُّوا فيه.

لوزة: هل يكون أحد رجال المفتش «سامي»؟

تختخ: ربما ... وربما كان أحد هؤلاء العلماء الثلاثة ليس هو العالم الحقيقي، ربما عالم مُزَيَّف مُتَنَكِّر.

ونظر إليه الأصدقاء جميعًا في دهشة ... أما هو فنظر إلى درَّاجته قائلًا: سأذهب للمراقبة من بعيد ... وسنلتقي في المساء.

وتحرك المغامرون جميعًا لأداء المهمة التي سيقوم بها كل واحدٍ فيهم.

شيء ما ... غامض

عندما كان «تختخ» في طريقه إلى الفيلا ... التقى بالمفتش «سامي» ... في سيارته، وتوقفت السيارة وقال المفتش: إلى أين؟

تختخ: لقد وزعنا أنفسنا على المهمات المطلوبة منا ... وجاء من نصيبي مُراقبة الفيلا.

المفتش: لن تجِد في مُراقبتك أي شيء مُجدٍ ... إننا نراقب كل شيء بدقةٍ بالغة، ورجالنا مُنتشرون حول الفيلا بحيث لا تستطيع ذبابة أن تدخل الفيلا دون أن تخضع لفحصٍ دقيق.

تختخ: إلى أين أنت ذاهب الآن؟

المفتش: سأذهب لتناول طعام الغداء في «الجود شوط»، لماذا لا تأتي لتناول الطعام معي؟

تختخ: ليس عندي مانع ... خاصة أن حديث الطعام لنا عليه ملاحظات!

المفتش: عظيم ... إن منزلك قريب من هنا ... فاذهب لتضع دراجتك، وسأكون خلفك بالعربة، وسآخذُك معي إلى «الجود شوط».

بعد دقائق كان «تختخ» يركب بجوار المفتش في طريقهما إلى «الجود شوط».

وقال المفتش: هذه ببساطة أعقد مشكلة واجهتني في حياتي العملية ... لقد اشتركتُ في مئات من مختلف أنواع الجرائم، وطاردتُ مئاتِ المجرمين والجواسيس ... ولكن هذه الحالة لم يسبق لي أن رأيتُ مثلها ... فيلا مُحاطة بحراسة مُشدَّدة ... ثلاثة علماء لا شك فيهم ... كل شيء يخضع للتفتيش الدقيق ... ومع ذلك تتسرَّب معلومات وصور من داخل الفيلا ... غير معقول ... إلا إذا كان ذلك يتم بواسطة القمر الصناعي مثلًا ... وحتى القمر الصناعي لا يستطيع.

وصلا إلى «الجود شوط»، واختارا مائدة بجوار النيل، وطلب المفتش لحمًا مشويًّا وسلطةً خضراء ... وكذلك فعل «تختخ» ... وعندما جاء الطعام قال «تختخ»: لقد أبقيتُ حديثي حتى يأتي الطعام.

المفتش: لماذا؟

تختخ: لأننا ناقشنا المعلومات التي لدَينا ... ووصلنا إلى بعض استنتاجات.

أبدى المفتش اهتمامًا بحديث «تختخ» وقال: أرجو أن تكون هذه الاستنتاجات سبيلًا إلى شيء.

تختخ: إن الشيء الوحيد الذي يدخل بانتظام إلى الفيلا هو الطعام الذي يأتي إلى الدكتور «عزيز» من منزله، و«ترموس» القهوة الذي يأتي به الدكتور «سليم»، فإذا استبعدْنا تمامًا أن أحد الرجال الثلاثة خائن ... أو عالم مُزَيَّف ... يبقى أنه من المُمكن إدخال أجهزة التسجيل إلى داخل المعمل في طبق الطعام ... أو ملَّاحة ... أو غطاء الترموس.

ابتسم المفتش وقال: وهل تظن أن هذا كان خافيًا عنا؟ إن الطعام يُفتَّش يوميًّا، كل طبق ... بل إننا نُخْرِج قطع اللحم من الشوربة لفحصها ... ونُقَلِّب طبق المكرونة، ونختبر كل بيضة ... أما «الترموس» فيمر بفحصٍ دقيق يوميًّا.

أحنى «تختخ» رأسه في خجل وقال: نحن آسفون جدًّا ... لقد كانت مجرد استنتاجات صبيانية.

ابتسم المفتش وقال مشجعًا: أبدًا ... إنها استنتاجات معقولة للغاية ... ولكننا وضعناها في اعتبارنا.

تختخ: في هذه الحالة ... فإنني أعتقد أنها مشكلة بلا حل، وليس لديَّ ما أضيفه.

المفتش: هذا ما يُحَيِّرُني فعلًا ... بل يُحَيِّر رجال الأمن جميعًا ... وربما كان الحل الوحيد أمامنا الآن هو إيقاف التجارب مؤقتًا ... أو نقل المعمل من مكانه.

أحسَّ «تختخ» بالألم ... لقد ظن أنه سيُقدم للمفتش كالمعتاد شيئًا مُهمًّا يستدعي البحث ... فإذا بكل ما قاله ليس به أي شيء جديد بالنسبة للمفتش ... وهكذا ساد الصمت بينهما حتى انتهى الطعام ... وشرب المفتش قهوته ... ثم نظر في ساعته وقال: سأعود إلى الفيلا ... فسنقوم اليوم بفحص الأرض المُحيطة بالفيلا لعل فيها دهاليز سرية قديمة تؤدي إلى الفيلا ... من يدري ... إن هذا آخر ما في جُعبتنا من حِيَل.

وركبا السيارة، وأوصل المفتش «تختخ» إلى منزله، ثم انطلق إلى الفيلا.

وصعد «تختخ» إلى غرفته ... كان في حاجةٍ إلى أن يخلو إلى نفسه يفكر، من غير المعقول كل ما يحدث هذا ... وفكر أنه ربما استطاع أحد المغامرين الخمسة أن يحصل

على معلوماتٍ من مراقبة منازل العلماء ... وإن كان مُتأكدًا أن المفتش ورجاله لا بدَّ أنهم قاموا بالمراقبة ... ولم يتركوا شيئًا لم يفحصوه ... وتمدَّد «تختخ» على فراشه يفكر ... ودون أن يدري استسلم للنوم العميق، لم يستيقظ منه إلا وقد آذنت الشمس بالمغيب ... فأسرع إلى الحمام يغتسل وارتدى ثيابه وأسرع إلى اجتماع المغامرين ... ولكنه وجدهم قد حضروا وانتظروه، ثم تصوَّروا أنه مشغول بمراقبة الفيلا، فانصرفوا ... قالت له «لوزة» هذه المعلومات؛ فقد كانت هي الوحيدة التي انتظرته.

سألها «تختخ» مُتلهفًا: وهل حصلتم على أية معلومات جديدة؟

ردَّت «لوزة» وهي تهزُّ رأسها آسفة: لا شيء ... لا شيء ... مطلقًا!

تختخ: هذا ما كنتُ أتوقعه ... إن رجال الشرطة لم يتركوا شيئًا لم يفحصوه ... وإذا لم أكن مُبالغًا ... فهذا أغرب لغز مرَّ بنا ... بل ربما أغرب لغز في العالم!

لوزة: وماذا ستفعل؟

تختخ: لا شيء ... سوى أنني سأخرج لأتمشى قليلًا مع «زنجر» فقد نهرتُه هذا الصباح، ولاحظتُ في أثناء خروجي أنه لم يهتمَّ بي ... فسأُصالحه وآخُذه في نزهة ... وفي الوقت نفسه سأمر بجوار الفيلا.

ودَّع «تختخ» «لوزة» ... على أن يلتقوا جميعًا في الصباح.

عاد «تختخ» إلى منزله، فنادى «زنجر» الذي لم يرد النداء ... كان جالسًا وقد دفن رأسه بين ذراعيه ... يرفع عينيه إلى «تختخ» ثم يخفضهما في ملل، وكأنه يقول له إنه زعلان ... وإنه لن يكلمه.

مشي «تختخ» حتى مكان «زنجر» ثم انحنى وأخذ يُداعب «زنجر» ويقول: أنا آسف ... كنتُ أريد بعض المعلومات من الشاويش، ولعلَّك زعلان لأنه قال إنك كلب سيئ التربية ... وإن الكلب «بلاكي» كلب الدكتور «عزيز» أفضل! تعال معي وسترى هذا الكلب.

زام «زنجر» ثُم تمطَّى ... وسار خلف «تختخ»، وكان الظلام قد هبط وابترد الجو ... فسعد بأن يقوم برحلةٍ بدلًا من النوم.

ظلَّا يسيران حتى غادرا المعادي ... وأخذا طريقهما إلى المعادي الجديدة ...

لم يكن عند «تختخ» أي خطة، كل ما هنالك أنه قرَّر أن يُراقب الفيلا ... لعل وعسى أن يرى شيئًا أو يلاحظ شيئًا ... يصلح بداية للعمل ... ووصل إلى الشارع الصغير ... ووقف قليلًا يُراقِب الفيلا من بعيد ... كان كل شيءٍ هادئًا ... ولم تكن هناك سيارات ... معنى ذلك أن المفتش غير موجود ... وكذلك الدكتور «كلود».

اجتاز الشارع ... وفجأة وجد البواب يقف مع الكلب أمام الفيلا ... ودون أن يدري ما حدث كان «زنجر» قد اندفع وهو ينبح بشدَّة في اتجاه «بلاكي» الذي كشَّر عن أنيابه وزمجر بشدة ... ووقف الكلبان وجهًا لوجه وقد استعدَّ كلٌّ منهما للهجوم.

وسار «تختخ» بسرعةٍ ليمنع المعركة الوشيكة ... ولكنه لم يكد يصِل إلى قُرب الكلبين حتى كان البواب يرفع عصًا غليظة ويهوى بها بقسوة على «زنجر» وذُهِلَ «تختخ» ... ولِحُسن الحظ أن «زنجر» زاغ من الضربة واستعدَّ للهجوم على البواب ... ولكن «تختخ» أسرع إليه وأخذ يُربِّت عليه وصاح في وجه البواب: ماذا جرى لك؟ كيف تضرب الكلب بهذه الوحشية؟

قال «البواب» بغلظة: ابعد هذا الكلب المُتشرد من هنا!

تختخ: إنه ليس مُتشردًا ... وحتى لو كان، كيف تعامله بهذه القسوة!

رفع البواب عصاه مُهَدِّدًا ... وأحسَّ «تختخ» بالدماء تغلي في عروقه ولكن في هذه اللحظة وقبل أن يُقدِم على أي شيء ... ظهر أحد الحراس، وعندما رأى «تختخ» قال: أنت «توفيق»؟

تختخ: نعم!

الحارس: لقد أوصى المفتش أن نُرحب بك في أي وقت ... وآسف لأن الاقتراب من الفيلا ممنوع.

تختخ: وهل هذا البواب فتوة لضرب الكلاب؟

الحارس: آسف ... أدخل هذا الكلب يا «بركات»!

رد «البواب» بغلظة: إن هذا مَوعد نزهته اليومية كأمر الدكتور «عزيز».

الحارس: إذن ابتعِد الآن ولا تتصرَّف بهذا الشكل.

وسار البواب ومعه الكلب الأسود ... وتوقف «تختخ» لحظات يتحدَّث مع الحارس ... ثم مضى في طريقه ... ودار حول الفيلا دورةً واسعة ... وخُيِّلَ إليه أنه سمع في الصمت المُخيِّم على المكان قرب الصحراء صوت مُحرك سيارة ... وبعد لحظات ظهر البواب يسير على مهلٍ مُمْسِكًا الكلب، وزام «زنجر» وقبل أن يتصرَّف «تختخ» أي تصرُّف كان «زنجر» يقفز كالسهم مُهَاجِمًا «بلاكي» ... وجرى «تختخ» ناحية الكلبَين محاولًا منع «زنجر»، وفي هذه اللحظة شاهد شيئًا يلمع في يدِ البواب ... وأدرك على الفور أنه مُسدس ... ودون أن يُفكر قفز على البواب مُمْسِكًا يدَه محاولًا منعه من إطلاق الرصاص.

دارت معركة عنيفة بين الكلبين ... وبين البواب و«تختخ» وعلى صوت النباح المُرتفع حضر الحارس مرة أخرى ... وصاح طالبًا من «تختخ» و«بركات» الكفَّ عما يفعلان ...

وقال «تختخ» وهو يلهث: لقد حاول أن يضرب كلبي بالرصاص!

الحارس: ماذا جرى لك يا «بركات»؟

بركات: إنها تعليمات المفتش، فلا يقترب أحد من الفيلا ... وهذا المسدس مُرَخَّص للدفاع به عن النفس.

تختخ: ولكني لم أهاجمك ...

بركات: كلبك هاجم «بلاكي»، وأنت هاجمتني!

وأسرع «تختخ» يُنادي «زنجر» ... ويجذبه إلى الخلف، وكذلك فعل «بركات» وانتهى الموقف باعتذار الحارس مرةً أخرى.

وقف «تختخ» يغلي من الغضب، وقد قرَّر إخطار المفتش بما حدث ... ثم شيئًا فشيئًا بدأ يهدأ ويفكر ... إن تَصَرُّف البواب تَصَرُّف غير طبيعي في المرَّتَين ... لقد كاد يقتل «زنجر» بلا رحمة بمجرد أنه هاجم «بلاكي»، صحيح أنه من المفروض أن يدافع عن «بلاكي»، ولكن ليس بكل هذا العنف ... وتنبهَّت في «تختخ» غريزة المغامرة ... إن أي شيء غير عادي في سلوك شخصٍ في مثل هذه الظروف يبعث على الشك ... وقرَّر أن يُراقب البواب والكلب.

دار حول الفيلا مرةً أخرى، واختار شجرة ضخمة على مسافةٍ من الفيلا، وتسلَّقَها بعد أن طلب من «زنجر» البقاء عند جذع الشجرة ... كان في مَكمنه يستطيع أن يرى غرفة البواب التي جلس أمامها ومعه الكلب، وبعد فترة ظهر الدكتور «عزيز» على السلم المُضاء، فأسرع «بلاكي» ناحيته ... فأخذه الدكتور «عزيز» ودخلا الفيلا.

بقي «تختخ» في مَكمنِه ... ومرت الساعات دون أن يحدُث شيء ... كان البواب قد تناول عشاءه، وشرب الشاي ثم دخل غرفته وترك الباب مفتوحًا ... وقُرب منتصف الليل فتح الدكتور «عزيز» باب الفيلا ... فخرج الكلب وأسرع إلى غرفة البواب، ثم أُطْفِئَت أنوار الفيلا وساد الصمت والظلام.

مرَّت الساعات و«تختخ» كامِن في مكانه ... كانت فترة النوم الطويلة التي قضاها عصرًا قد جعلته يقظًا ... وبرغم الملل والتعب الذي أحسَّه في جلسته غير المريحة فوق أحد الأغصان الضخمة، فقد ظلَّ في مكانه وقد تنبَّهَت حواسُّه إلى شيءٍ غامض في سلوك البواب أحسَّ أنه قد يؤدي إلى شيء.

وانقضى ليل الصيف القصير و«تختخ» في مكانه ... وقرب الفجر سمع صوت عربةٍ يجرُّها حصان أو حمار تسير مُقتربة من الفيلا ... وظلَّ صوت الحوافر يقترب حتى وقف أمام الفيلا ... كانت عربة القمامة ... وظهر البواب ومعه صفيحة القمامة فسلَّمَها إلى «الزبال» الذي قلَبَها في العربة ثم دار بالعربة عائدًا إلى الطريق.

مرة أخرى أحس «تختخ» بالشعور الغامض يجتاحه ... ونزل مُسرعًا وسار خلف عربة القمامة التي مضت تتخلع في الشارع الكبير ... ولاحظ «تختخ» لدهشته الشديدة أنها لم تتوقف مُطلقًا عند أي منزل لتأخذ القمامة ... وتزايد شعوره أن الأمور لا تسير سيرها العادي ... إن هناك شيئًا ما يحدث. وظل يسير على مبعدة من العربة حتى اجتازت المعادي.

وبدأت الطريق إلى حلوان ... ثم انحرفت داخل المزارع ... ولم يعُد عند «تختخ» أي شك أن ثمة شيئًا له علاقة باللُّغز في هذه العربة.

كان قائد عربة القمامة ولدًا نحيلًا يقود العربة شِبْهَ نائم ... وقرر «تختخ» أن يُجَرِّب حظه فأسرع خلف العربة حتى اقترب منها، ثم بكل ما يملك من خفة قفز إليها ... واهتزت العربة قليلًا ... وانتظر «تختخ» أن ينظُر الولد خلفه ... ولكنه ظل مُطرقًا برأسه كالنائم ... ولم يتردَّد «تختخ» ... فنزل داخل العربة ... ولدهشته الشديدة لم يكن بها من القمامة إلا ما أُخِذَ من الفيلا ... وأخذ «تختخ» ينبش سريعًا في القمامة ... بقايا أطعمة وأوراق وأعقاب سجاير ... ثم بيضة كاملة ... وأمسك بالبيضة وضغط عليها ... كانت قوية ... وأدرك أنها بيضة غير عادية ... وببساطة عاود «تختخ» القفز مرة أخرى، ولكن هذه المرة خارج العربة ... ووضع البيضة في جيبه وقلبه يقفز بين جنبَيه بشدة ثم أسرع يجري عائدًا إلى المعادي وخلفه «زنجر» ... وقد بدأت الشمس تمدُّ خيوطها الذهبية معلنة قدوم يوم جديد.

أسرع «تختخ» إلى منزله ... وصعد إلى غرفته، ثم أخرج البيضة من جيبه ... كانت بيضةً في حجم أي بيضةٍ أخرى وفي شكلها ... ولكن كانت من البلاستيك، وبنظرةٍ واحدة أدرك «تختخ» أنها مُقَسَّمَة إلى قِسمَين ... وأدارها بين أصابعه فدار الجزء الأعلى كالبرِّيمة ... وفي داخل الجزء الثاني كان هناك لفَّتان صغيرتان في حجم رُبع السيجارة.

هز «تختخ» رأسه غير مُصَدِّق ... هل صحيح حلُّ اللغز بضربة حظ واحدة؟! غير معقول! غير مُمكن ... إن المفتش لن يُصَدِّق مُطلقًا ... وأمسك سماعة التليفون واتصل ببيت المفتش ... وظل الجرس يدق عند الطرف الآخر فترة طويلة قبل أن يسمع صوت سيدةٍ تردُّ في صوتٍ نائم: آلو ... من هناك؟

تختخ: إنني أريد التحدُّث مع المفتش!

السيدة: إنه ما زال نائمًا!

تختخ: أيقظيه من فضلك!

السيدة: من أنت؟

تختخ: قولي له «توفيق» ... والمسألة عاجلة وفي غاية الأهمية!

مضت لحظات ... ثم سمع «تختخ» صوت المفتش: «توفيق» ... صباح الخير ماذا هناك؟

قال «تختخ» بصوتٍ يخنقه الانفعال: في يدي الآن شريطان مُهَرَّبَان من داخل الفيلا!

المفتش: ماذا تقول؟

تختخ: شريطان ... لا أشكُّ أن أحدهما شريط صور والآخر شريط تسجيل.

المفتش: هل أنت متأكد؟

تختخ: تأكُّدي من أنني أكلمك.

المفتش: أين أنت؟

تختخ: في منزلنا!

المفتش: لا تتحرَّك من مكانك ... أنا قادم فورًا!

جلس «تختخ» مكانه لحظات وهو ما زال غير مُصدِّق لما حدث ... ثم أحس بالجوع يقرصه فأسرع إلى المطبخ وتناول إفطارًا دسمًا، وأعد كوبًا من الشاي ... وأخذ يرشفه على مهَل ... وبجواره «زنجر» يتناول إفطاره هو الآخر.

كان «تختخ» يُفكر ... لقد عثر على الأشرطة ... وبقي أن يعرف كيف تمَّ تصويرها وتسجيلها ... كيف ... كيف؟!

ونظر إلى «زنجر» طويلًا ثُم قال: «زنجر» ... هل ثمة شيء في «بلاكي» أثارك؟

ونظر إليه «زنجر» ... وزمجر في ضيق.

وفجأة قفز «تختخ» من مكانه ... فأوقع كوب الشاي على الأرض فكسره ... ولكنه لم يهتم ... فقد سمع في هذه اللحظة صوت نفير سيارة المفتش ... وأسرع «تختخ» يفتح الباب ... وظهر المفتش وما زالت على وجهه آثار النوم ... وقال «تختخ»: تفضل يا سيادة المفتش ... هل تشرب شايًا؟

المفتش: لا بأس ... أين الأشرطة؟

ودخل المفتش إلى المطبخ ومدَّ «تختخ» يده بالبيضة إلى المفتش قائلًا: ما رأيك في هذه البيضة ... هل تكفي للإفطار؟

أمسك المفتش بالبيضة في يده وقد بدت على وجهه علامات الدهشة ... ولكنه أدرك على الفور أنها بيضة غير عادية ... وسرعان ما كان يفكُّها إلى جزأين ... وينظر إلى داخلها وقد فتح عينَيه دهشة وارتسمت على شفتَيه ابتسامة واسعة.

وبينما كان «تختخ» يُعِدُّ الشاي، روى للمفتش قصة الليلة الماضية وما جرى فيها من أحداث ... وقال المفتش: إذن فالبواب هو الجاسوس ... سأقبض عليه فورًا!

تختخ: ليس وحدَه ... ولكن اقبض على «بلاكي» أيضًا!

المفتش: الكلب؟

تختخ: نعم ... إنه الجاسوس الحقيقي ... فقد كان البواب يقوم بتركيب كاميرا صغيرة جدًّا وجهاز تسجيل دقيق في شعره الكثيف ... وكان الكلب يدخل مع صاحبه الدكتور «عزيز» فيحضر الاجتماعات والتجارب ... والكاميرا تدور ... وجهاز التسجيل يسجل ثم يأخذ البواب الأفلام فيضعها في البيضة المُجَوَّفَة، وينقلها الزبال ضمن القمامة، دون أن يدري أنه ينقل شيئًا خطيرًا إلى مركز التجسس، حيث يأتي مندوب المركز لأخذ البيضة من مكان وضع القمامة، ولم يكن للزبال عمل آخر سوى نقل زبالة الفيلا، وكان سعيدًا بالمبلغ السخي الذي يتقاضاه من الجواسيس.

المفتش: رائع ... إن هذا يوضح لماذا كانت الصور غير كاملة ... والمعلومات ناقصة وليست دقيقة.

تختخ: لأن الكلب لم يكن يدخل كل يوم. ولكن على حسب رغبة الدكتور «عزيز»!

المفتش: ولكن كيف اكتشفتَ هذه الحقيقة التي لا يمكن أن يُصدِّقها أحد؟

ابتسم «تختخ» وضرب جبهته بيده قائلًا: العبقرية يا سيادة المفتش! العبقرية، فقد شككتُ أولًا في شراسة البواب ومحاولة إبعاد «زنجر» عن «بلاكي» حتى بضرب الرصاص ... وهي جريمة ليس من السهل الإقدام عليها إلَّا لرجل يدافع عن حياته وليس عن كلب لا يملكه ... وأدركتُ أن في الكلب شيئًا غير عادي يخشى «بركات» افتضاحه ... وتذكرت أنني شاهدتُ فيلمًا في التليفزيون في برنامج عالم الحيوان عن تصوير الحيوانات في بيئتها الطبيعية وكيف يصطادون قردًا مثلًا، أو نمرًا ... أو أسدًا ويُرَكِّبُون «كاميرا» في شعره ويتركونه بين بقية الحيوانات يُصَوِّر حياتها كما هي على الطبيعة ثُمَّ يُحاولون اصطياد الحيوان مرةً أخرى وهم بالطبع يضعون به علامة مميزة ليعرفوه من بقية الحيوانات ... وبهذا يحصلون على أدق المعلومات عن حياة الحيوان.

أخذ المفتش ينظر إلى «تختخ» لحظات ثم قال: أنت ولد رائع يا «توفيق» ... أتمنَّى أن تأخُذ مكاني عندما تكبر!

احمرَّ وجه «تختخ» وقال: شكرًا يا سيدي المفتش ... في الحقيقة إن الفضل لـ «زنجر»! وربَّتَ المفتش على رأس «زنجر» وقال: هل ستأتي معي يا «توفيق»؟

تختخ: لا ... سأنام ... فإنني لم أنَمْ طول الليل.

وبعد ساعة ... وبينما كانت شبكة تجسُّس من أخطر الشبكات تقع في يد رجال الشرطة ... كان «تختخ» نائمًا يحلُم وكان بقية المغامرين يجلسون في حديقة منزل «عاطف» ... يستعدُّون للقيام بالمُراقبة وهم لا يعلمون أن زميلهم السمين العبقري ... قد حَلَّ اللغز.

